جامعة الشّهيد حمّه لخضر - الوادي–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

صدى المقاومة الشّعبية الجزائرية في تونس مابين (1830 – 1881م)

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر.

إعداد الطّالبتين:

- جمعة زايــد

- سارة حمدان

الأستاذ المشرف:

أ.د. محمّد السّعيد عقيب

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الصفة	الجامعة
01	د. عبد الكامل عطية	رئيس اللّجنة	جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي-
02	أ.د. محمّد السّعيد عقيب	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي-
03	أ. محمد حنّاي	عضواً مناقشاً	جامعة الشّهيد حمّه لخضر –الوادي-

السّنة الجامعية:1438-1439هـ/2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قد يقف المرء عاجزاً على رد الجميل لذوي الفضل، وقد لا تفي أساليب التّعبير لنعبر عن معاني الشّكر والتّقدير، الشّكر والحمد لله وما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ومن باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم" من لا يشكر النّاس لا يشكر الله".

نتقدم بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير إلى كل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدّكتور محمد السّعيد عقيب الذي تابع إشراف هذا البحث لبنة بعد أخرى وأولاه العناية و الرّعاية ما يعجز اللّسان عن رد جميله على الجهد الذي بذله معنا والوقت الثمين الذي خصصه من أجل إتمام هذا العمل رغم كثرة انشغالاته.

وكل الشّكر للأستاذ عبد القادر ميهي الذي أخذ عنا عبأ التّرجمة.

كما نتقدم بالشّكر الجزيل إلى أساتذتنا الكرام أعضاء المناقشة على خالص جهدهم المبذول في قراءة المذكرة وخالص شكرنا من أجل مناقشتها.

وإلى جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية وبالأخص شعبة التّاريخ جامعة الشّهيد حمة لخضر بالوادي.

كما لا ننسى أن نشكر عمّال مكتبة متحف المجاهد "بوغزالة حمد الهادي" والمدير القائم عليه ، وعمّال مكتبة دار الثقافة "محمد الأمين العمودي" بولاية الوادي.

وختاماّ نتقدّم بجزيل الشّكر والثّناء لكل من ساعدنا بنصائحه وتوجيهاته وأفادنا وهو حاضر بكيانه غائباّ بوجوده في إنجاز هذا العمل.

قائمة المختصرات

أ- باللّغة العربية:

ش. و. ن. ت: الشّركة الوطنية للنّشر و التّوزيع.

ش. ت. ن. و. ت: الشّركة التّونسية للنّشر و التّوزيع.

م. و. ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ط. خ: طبعة خاصة.

م. م. و. د. ب. ح. و. ث. ن: المركز الوطني للدّراسات، و البحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م.

تر: ترجمة.

تح: تحقيق.

تع: تعريب.

تق: تقديم.

م. ت. ب. ع. م: مؤسسة التّميمي للبحث العلمي و المعلومات.

د. ع. ك: الدّار العربية للكتاب.

د. س: دون سنة.

د. ط: دون طبعة.

د. ب: دون بلد.

ج: جزء.

مج: مجلد.

ص: صفحة.

ط: طبعة .

ب- باللغة الفرنسية:

A. N. T: Archives Nationa de Tunisie.

P: Page.

S: Série.

C: Carton.

D: Dossier.

F: Fichier.

Op.Cit: Opus Citateur.

O.P.U: Office Des Publications Universitaires.

مقدمة

منذ وطأت أقدام الجيش الفرنسي أرض الجزائر سنة 1830م، عمل الفرنسيون على رسم خطة محكمة للسيطرة و التّوسع و بسط نفوذهم في مختلف أنحائها و بعد سقوط مدينة الجزائر أحس الفرنسيون بالارتياح معتقدين أن ذلك سيسهل لهم سقوط باقي المناطق الواحدة تلو الأخرى.

غير أنّ الشّعب الجزائري واجههم بمقاومات شعبية باسلة دامت طيلة القرن التّاسع عشر ميلادي وامتدت حتى القرن العشرين و ارتبطت هاته المقاومات بأسماء أشخاص تركوا بصمتهم النضالية الجهادية في تاريخ الجزائر الحافل بالأحداث، منهم: مقاومة أحمد باي و الأمير عبد القادر، ثورة الشّريف محمد بن عبد الله، و الشّريف بوشوشة، و مقاومة أولاد سيدي الشّيخ و المقراني والحداد، أما عن المقاومات التي ارتبطت بأماكن لأشخاص نذكر منها: مقاومة واحة الزّعاطشة، الزّواغة و الفرجيوة، و ثورة الصّبايحية و الكبلوتي، و الأوراس والتّوارق سنة 1916م.

لكن سلطـات الاحتلال الفرنسي استطـاعت إخماد هذه المقـاومات لتفوقها عدّةً وعتاد، واتبعت سياسة قمعية تجاه السكان، نتجت عنها حياة اجتماعية و اقتصادية مزرية، حيث انتشر الفقر وعمت المجاعة في مختلف القبائل، ونزعت الأراضي من أصحابها...الخ.

ولقد كان لهذه المقاومات صداً داخلي و خارجي تعدى حدود القطر الجزائري ليصل للأقطار المجاورة و يتعداها حتى المشرق العربي.

وباعتبار البلاد التّونسية من أكثر الأقطار المجاورة تأثيرًا و تأثرًا بالجزائر في الكثير من الأزمات سواءً وقت الحروب أو السِّلم، مما يجعل الجزائريين و التّونسيين على تواصل دائم شمل مختلف الجوانب السّياسية و الاقتصادية و الاجـتماعية و الثّقافية. و نظرًا لــقيمة و أثر ذلك التّواصل حددنا موضوعنا بـ: " صدى المقاومات الشّعبية الجزائرية في تونس ما بين سنتي 1830 – 1881م "، متخذين هذه الفترة صدًا لدراستنا لأنها تبين وقائع و أحداث هامة لكلا البلدين حيث نجد في الجزائر أن سنة 1830 م تمثل دخول الاحتلال الفرنسي، أما عن سنة 1881م فتمثل انتصاب الحماية الفرنسية على تونس.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع دون غيره من المواضيع فإنها تعود لرغبتنا في تسليط الضوء على الأحداث الواقعة في كل من تونس و الجزائر في الفترة المحددة للدراسة، وكذلك كون الموضوع لم يعنى بدراسات كثيرة أثار لدينا الرغبة في المساهمة و لو بالقليل في الكشف عن صدى المقاومات الشّعبية الجزائرية في تونس.

بالإضافة إلى ذلك العمل على إثراء الدراسات في هذا المجال و الرّغبة في التّعرف عن أثر نشاط المقاومات الشّعبية الجزائرية في جارتها تونس خلال هذه الفترة الهامة من تاريخ القطرين، و محاولة التّعرف عن الأعداد الهائلة للاّجئين الجزائريين إلى البلاد التّونسية خلال الفترة المدروسة.

وترجع أهمية هذا البحث إلى محاولة الوصول إلى التّعرف على أثر المقاومات الشّعبية الجزائرية في تونس و على مدى التلاّحم و التّعاون بين الشّعبين خلال فترة الاحتلال.

و اعتمدنا في انجاز بحثنا على عدد من الدّراسات التي لها أهمية كبيرة و التي عنيت بدراسة المقاومات و أثرها في تونس. ومن بينها تلك التي قدمها الدكتور رضوان شافو تحت عنوان " مقاومة منطقة تقرت و ما جاورها للاستعمار الفرنسي (1844-1875م) "، ودراسة الدكتور بوضرساية بوعزة " الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة(1826-1848م) "، ودراسة أحمد بن جابو الموسومة بعنوان " المهاجرون الجزائريون و نشاطهم في تونس(1830-1954م)، و دراسة لبشير مدني تحت عنوان " مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية و السّياسية و الاقتصادية (1830 – 1962 م) ".

و قد حاولنا معالجة هذا الموضوع انطلاقًا من الإشكالية الرئيسية التالية:

- كيف كان صدى المقاومة الشّعبية الجزائرية في تونس و ما هي مظاهره؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة هي:

- ماهي أهم المقاومات الجزائرية ذات الامتداد الخارجي؟ و إلى أي مدى يمكن أن نفسر تجاوب التونسيين مع المقاومة الجزائرية؟ و هل كان لجوء المقاومين و أتباعهم إلى تونس اختياري أم اضطراري؟ و فيما تمثّل نشاطهم الجهادي في تونس، و أهم ردود فعل

السلطات الفرنسية؟ وهل كان موقف الجزائريين من فرض الحماية الفرنسية على تونس موقف المؤيد أو المعارض ؟

و للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بالإطلاع على مجموعة من المصادر و المراجع التي عنيت بدراسة بحثنا إذ قمنا بزيارة للأرشيف التّونسي التي عدنا منها بالزاد الوفير الذي ساعدنا أيما مساعدة لإثراء الموضوع وذلك بتاريخ 26 مارس 2018م، و كذلك مذكرات أحمد باي، وكتابات يحي بوعزيز المتعددة كثورات الجزائر في القرنيين التّاسع عشر والعشرين الجزء الأول و كتاب المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التّونسية لخير الدين شترة، و كتاب هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجاونة إلى تونس (1830-1937م) لعبد الكريم الماجري.

و بعد جمعنا للمادة الخاصة بالموضوع من مختلف مشاربها حددنا خطتنا في مقدمة وفصلين و خاتمة.

فالفصل الأول وسمناه بـ" أبرز المقاومات الشعبية الجزائرية مابين 1830–1881م"، وقسمناه إلى خمسة عناصر تناولت بعض المقاومات الشّعبية خلال القرن 19م و التي تبين من خلالها طبيعة و مدى التواصل بين الشعبين الجزائري و التونسي كأبرز مقاومات الشّرق الجزائري، ومن بينها: مقاومة أحمد باي، و الزّواغة و فرجيوة، و الصبايحية و الكبلوتي، و مقاومات الغرب الجزائري، ومن أهمها مقاومة الأمير عبد القادر، و مقاومة الوسط الجزائري والتي تمثلت في مقاومة المقراني و الحداد، أما عن أبرز مقازمات الجنوب الجزائري فتتمثل في: مقاومة الزّعاطشة، ومقاومة الشّريف محمد بن عبد الله، و أولاد سيدي الشّيخ، والشّريف بوشوشة، و الأوراس. و تناولنا في كل مقاومة انطلاقها و أحداثها و نتائجها.

أما الفصل الثّاني الذي جاء تحت عنوان " أوضاع تونس خلال القرن 19 و أثر المقاومات الشعبية الجزائرية فيه"، فقسمناه إلى خمسة عناصر رئيسية، حيث عالجنا فيه أوضاع تونس في القرن 19م في جميع المجالات السّياسية والاقتصادية والاجتماعية والثّقافية و الدّينية، و الموقف التّونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر و أدرجنا فيه الموقف

الرسمي و كذا الموقف الشّعبي، أما ثالثا لجوء المقاومين الجزائريين إلى تونس ونشاطهم فيها وتناولنا فيها ظروف الالتحاق بتونس و دور منطقة تونس كقاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية، و بعدها تعرضنا للسّياسة الفرنسية لقمع حركة الثوار كمسألة ترسيم الحدود وتقييد حركة التواصل وتقنين الحركة التّجارية و ملاحقة المقاومين الجزائريين على الأراضي التّونسية وإنشاء الأبراج و الثكنات العسكرية للتفتيش و المراقبة و كذا الضغط الفرنسي على الحكومة التّونسية للتّضييق على التّونسيين المساندين، و عرجنا على موقف الجزائريين من الاحتلال الفرنسي لتونس عام 1881م و الذي وضحنا فيه مدى التّعاون بين المقاومين الجزائريين و التّونسيين و توحيد الجهود.

و أخيراً أنهينا هذا البحث بخاتمة كانت عرضاً للنّتائج المستخلصة منه، كما دعمنا هذه الدّراسة بمجموعة من المّلاحق لتوضيح و إثراء هذا الموضوع.

و قد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التّاريخي لسرد الأحداث و ترتيبها وفق التّسلسل الزمني وتقصى الأحداث و الوقائع التّاريخية، و تفسيرها.

و في الختّام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشّكر الجزيل و الخالص لأستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور" محمد السّعيد عقيب " الذي قدم لنا الكثير من التّوجيهات طيلة انجاز هذا البحث لإخراجه في هاته الصّورة و إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد، و نرجو أن نكون قد وفّقنا في الإلمام و الإحاطة بمعظم جوانب هذا البحث فإن وفّقنا فمن الله و إن أخطأنا فلنا شرف المحاولة و التّعلم.

جمعة زايد وسارة حمدان بمدينة الوادي يوم:31ماي 2018م

الموافق ل15 رمضان1438هـ بإشراف الأستاذ الدّكتور:

محمّد السّعيد عقيب.

الفصل الأول

أبرز المقاومات الشعبية الجزائرية 1830 – 1881م.

أولا: أبرز مقاومات الشّرق الجزائري.

1- مقاومة أحمد باي 1830 – 1848م.

2- مقاومة الزّواغة و الفرجيوة 1849 – 1865م.

3- مقاومة الصبّايحية و الكبلوتي 1871م.

ثانيا: أبرز مقاومات الغرب الجزائري.

1- مقاومة الأمير عبد القادر 1832 – 1847م.

ثالثا: أبرز مقاومات الوسط الجزائري.

1- مقاومة المقراني والحداد 1871 – 1872م.

رابعا: أبرز مقاومات الجنوب الجزائري.

1- مقاومة الزّعاطشة 1849م.

2- مقاومة الشّريف محمد بن عبد الله 1851 – 1895م.

3- مقاومة أولاد سيدي الشّيخ 1864 – 1881م.

4- مقاومة الشّريف بوشوشة 1869 – 1875م.

5- مقاومة الأوراس 1879م.

خلاصة الفصل.

أولا: أبرز مقاومات الشّرق الجزائري.

رغم تمكن الفرنسيين من احتلال عدد من المدن و المناطق الساحلية مابين مدينتي الجزائر و وهران، إلاّ أنهم لاقوا صعوبات جمة من طرف الجزائريين في مختلف المناطق حول مدينة الجزائر و في سهل متّيجة.

وقد أحدث القضاء على حكومة الدّاي حسين[1] في العاصمة فراغًا سياسيًا في البلاد، وهو مافسح المجال لظهور عدد من الزّعماء المحليين الطموحين، حيث حاول كل واحد منهم أن يضع لنفسه كيانًا و سيطر على ما استطاع من الجهات لتوسيع نطاق و دائرة مقاومته للاحتلال الفرنسي.

1- مقاومة أحمد باي[2] 1830-1848 م.

عين أحمد بايًا[3] على مقاطعة قسنطينة سنة 1827م، وعند الاحتلال حمل لواء المقاومة والجهاد ضد الغزو الفرنسي منذ سنة 1830م بطلب من الدّاي حسين الذي أمره بتحصين ميناء

---

[1]- الدّاي: تعني بالتركية الخال، كان لقبا يطلق في الأصل على احد قادة الانكشارية العثمانيين ثم صار أحد مراتب السّلطة في الإمبراطورية العثمانية منذ عام 1671م، خاصة في تونس إلى عام 1705م، والجزائر إلى عام 1830م، وطرابلس الغرب إلى عام 1711م، كان الدّاي ينتخب لفترة مدى الحياة من طرف أعضاء هيئة مكونة من قادة عسكريين ودينيين ومدنيين. ينظر: راغب السّرجاني: **قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011م**، ط1، دار أقلام للنشر و التوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ص18.

- الدّاي حسين: هو آخر دايات الجزائر، تولى الحكم سنة 1818م، كان رجلاً عالماً وشجاعاً و حكيماً، في عهده وقعت حادثة المروحة والحصار سنة 1827م، ثم الاحتلال سنة 1830م. ينظر: حمدان خوجة: **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص146.

[2]- ولد بمدينة قسنطينة سنة 1788م وهو من الكراغلة، تلقى تعليمه في بسكرة عند أخواله (بن قانة)، وهناك تعلم الفروسة و فنون القتال، و تم تعينه بمنصب خليفة الباي في قسنطينة سنة 1817 لمدة 3 سنوات و في سنة 1827م عينه الداي حسين بايا عليها، و تزعم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م. ينظر: بشير بلاّح: **تاريخ الجزائر المعاصر(1830 – 1989م)**، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، ج1،2007م، ص 183.

[3]- الباي هو لقب تركي معناه في الاصل رئيس العشيرة تم تطور هذا اللقب ليعني حاكم منطقة ويظهر أيضا في الرتب العسكرية. ينظر: راغب السّرجاني: المرجع السّابق، ص 18.

عنابة و أخبره بالمشروع الفرنسي، كما أكد ذلك من خلال قوله: ((ليس لديكم أكثر من الوقت الكافي للخروج إلى الفرنسيين الذين سينزلون بسيدي فرج...)).[1]

و لم يبقى أحمد باي مكتوف الأيدي بل لجأ إلى عقد ندوة في مكان قريب من سيدي فرج، وقال لهم صهر الدّاي الآغا إبراهيم يجب علينا بناء حصون على شاطئ البحر وتزويدها بمدافع قوية حتى نمنع الفرنسيين من النّزول، فرد عليه أحمد باي بأن رأيه صائب، ولكن لا يمكن العمل به حينها لأنهم لا يملكون الوسائل التي تمكنهم بسرعة من إقامة الحصون التي أشاروا إليها، فمنطقة سيدي فرج مخرّبة تحتاج إلى إصلاح لمدة طويلة، وعرض عليهم القيام بشن هجوم صغير عند النّزول ودخل في خلاف مع صهر الدّاي حيث خالفه في طبيعة الهجوم لأن أحمد باي أكد على ضرورة الرّجوع إلى الخلف وترك مدينة الجزائر ثم المهاجمة، أما الآغا إبراهيم رفض ذلك و أكدّ على مجابهة العدو.[2]

وبعد نزول الفرنسيين بسيدي فرج و انهزام أحمد باي في معركة أسطاوالي، حيث فقد حوالي 200 جندي من جيشه، وانسحب متّجها إلى بايلكه قسنطينة و انضم إليه حوالى 1600 شخص من الأهالي في منطقة "أولاد زيتون" ووصلته رسالة من قائد الجيش الفرنسي ديبرومون Debrmont[3] يخبره فيها بتوقيع معاهدة الاستسلام ويعرض عليه اعتراف فرنسا به كباي على قسنطينة مقابل قبوله دفع الجزية التي كانت تدفع للداي، ولكن أحمد باي رفض هذا العرض وواصل سيره نحو قسنطينة.[4]

و عند وصوله إلى بايلكه قسنطينة أدرك أحمد باي الانقلاب الذي جرى في غيابه من قبل الأتراك واليولداش،[5] حيث عينوا مكانه بايًا جديدًا يدعى بالقائد سليمان و عندما علم أهل

---

[1]- أحمد باي: **مذكرات أحمد باي**، تر: محمد العربي الزبيري، د. ط، ش. و. ن. و. ت، الجزائر، 1973م، ص 11.

[2]- نفس المصدر، ص ص 12- 15.

[3]- هو قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، وصاحب معاهدة الاستسلام 5 جويلية 1830م. ينظر: بوعزة بوضرساية: **الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاومة (1826-1848م)**، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة الجزائر، 1990-1991م، ص 104.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، ش. و. ن. و. ت، الجزائر 1982م، ص 135.

[5]- كان اليولداش لا يخضعون الى القانون، و الداي وحده هو الذي له الحق في محاكمتهم، و كل من التجأ الى مقهاهم ينجو من كل سوء. ينظر: أحمد باي: المصدر السّابق، ص 18.

المدينة برجوعه تحرك أنصاره تحت قيادة خليفته علي بن عيسى[1] وبعض العلماء، وألقوا القبض على سليمان وقتلوه أمام باب المدينة، وتمكن أحمد باي من إرجاع سلطته وحكم بالإعدام على الأتراك المتمرّدين ونفذ الحكم عليهم .[2]

وبعد رجوعه للحكم جمع شمل القبائل و كون مجلساً شورياً و شرع في إعداد الجيش للتّصدي للاحتلال الفرنسي و أغلبهم من العنصر الجزائري و قام بتحصين مدينة قسنطينة ودعا القبائل إلى الجهاد بعد وضعه لخطط إستراتيجية في المواجهة، وتمكن في ظرف وجيز من توحيد السّكان و اكتسب محبتهم وصار بذلك صاحب نفوذ، وقد ساعده التفاف الجماهير حوله في تكوين قوّة قائمة على التّنظيم للتّصدي للفرنسيين في المدن السّاحلية .[3]

و بعد استقراره في إقليمه وصلته رسالة من الجنرال كلوزيل Bertrand Clauzel[4] يطلب منه فيها تعينه بايا على قسنطينة باسم ملك الفرنسيين شريطة أن يدفع اللازمة لفرنسا، و تشاور أحمد باي مع ديوانه فلقي رفض قاطع من قبل الدّيوان، و في انتظار رد السلطان العثماني على هذا الطلب علم أحمد باي بأن الجنرال كلوزيل قد عزله و عين مكانه سي مصطفى[5] شقيق باي تونس[6] بعد معاهدة موقعة مع باي تونس .[7]

---

[1]- عيّن بن عيسى في منصب باشحامبا أو بالأحرى وزير أول، وأصبح الرجل الثاني بعد الحاج أحمد باي مباشرة لإدارة الإقليم. ينظر: بوعزة بوضرساية: المرجع السّابق، ص 66.

[2]- أحمد باي: المصدر السّابق، ص ص 18- 19.

[3]- عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م، ص141.

[4]- ولد في 12 ديسمبر 1772م في ميريبوا بفرنسا. تولى عدة وظائف في الجيش و السفارة الفرنسية في إسبانيا، وقيادة الجيش في سان دومينيك، وتولى القيادة بدل بورمون يوم 7أوت 1830م، ثم أصبح ماريشال فرنسا سنة 1831م، ثم عين مرة أخرى في الجزائر سنة 1835م، وعزل منها بعد فشله في حملة قسنطينة 1837م، ومات سنة 1843م. ينظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992م، ص 36.

[5]- هو شقيق باي تونس، و الذي تم منحه وتقليده مرتبة الباي على قسنطينة بموجب معاهدة موقعة بين الباي التونسي و الجنرال كلوزيل سنة 1830م، دون موافقة توقيع الحكومة الفرنسية. ينظر: أحمد باي: المصدر السّابق، ص 21.

[6]- عبد الوهاب بن خليف: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال الى الاستقلال**، ط1، دار طلبة، الجزائر 2009م، ص69.

[7]- وقعت هذه المعاهدة في 18 اكتوبر 1830م. ينظر لنصها الكامل في **المرآة** لحمدان خوجة: المصدر السّابق، ص 236.

و لكن أحمد باي قام بعزل سي مصطفى من حكم المقاطعة و سيطر هو على الموقف و التفت إلى خصومه و خرج لمحاربة إبراهيم و فرحات بن سعيد،[1] ففرّ الأوّل إلى عنابة والثّاني إلى أولاد جلاب، ثم قدم ابن عيسى إلى عنابة و حارب إبراهيم وطرده من المنطقة و تحولت المعركة في عنابة بين ابن عيسى و الفرنسيين، و في سنة 1832م دخل الفرنسيين مجددًا إلى عنابة و استقروا بها و عينوا عليها يوسف المملوك،[2] ثم انضم إلى صفوف أحمد باي سي أحمد ابن خصم أحمد باي - بومرزاق -[3]و أصبح خليفته، و لكن سي أحمد سرعان ما كان مغامرا و التجأ إلى الأمير عبد القادر و هو الخصم الآخر لأحمد باي.[4]

و بعد العديد من الصّراعات في منطقة عنابة جاء حمدان خوجة[5] إلى قسنطينة يحمل رسالة من الجنرال الفرنسي، و كانت الشّروط في هذه المرّة قد تغيرت حيث أنقصت فرنسا من قيمة الجزية التي يدفعها أحمد باي لهم إلى جانب اللازم السّنوي و مقابل ذلك تتعهد فرنسا باعترافها به كباي على الإقليم شريطة ترك الحاميات الفرنسية المنصبة في كل من عنابة وقسنطينة، وأن يكون ميناء عنابة تابع للفرنسيين وتكون لهم حرية التّجارة فيه، فرفض أحمد باي هذه الشروط وأكد على أنّ التّفاوض لا يكون معهم وإنّما يجب التّوجه إلى قسنطينة.[6]

وفي سنة 1836م علم أحمد باي عن طريق جواسيسه باستعداد الفرنسيين في عنابة للقيام بحملة ضد قسنطينة فخرج لمقابلتهم وكانت قواته متكونة من 1500 من الرّماة و500 فارس، ولكن نظرًا لقوة الجيش الفرنسي تراجع إلى قسنطينة دون تخليه عن فكرة الحرب فنصّب

---

[1]- هو فرحات بن أحمد بن محمد بن السّخري، من مواليد سنة 1786م، تولى مشيخة العرب سنة 1821م، وقتل بفعل الخديعة سنة 1842م. ينظر: بيرم كمال: " توسع الإحتلال والمقاومة الشعبية بالصحراء الشرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية "، **مجلة البحوث التاريخية**، ع1، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، مارس 2017م، ص 91.

[2]- هو خصم أحمد باي، وكان موالياً لفرنسا. ينظر: بوعزة بوضرساية، المرجع السّابق، ص 108.

[3]- مصطفى بومرزاق كان دوره مضطرباً تبعاً لإضطراب الأحوال في سهل متيجة والتيطري، فكان مرة يقبل بالتّعاون مع الفرنسيين ومرة يحاربهم، إلى أن قبل بالأمان. الذي أعطوه إياه، وغادر الجزائر نحو الشرق حيث مات هناك. ينظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)**، ج1، المرجع السّابق، ص ص 40-41.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، المرجع السّابق، ص 135.

[5]- هو حمدان بن عثمان خوجة، من مواليد سنة 1773م، بمدينة الجزائر الجزائر، شغل منصب الكاتب العام للدّاي و في سنة 1830م عينه كلوزيل في مجلس بلدية الجزائر، و في 1833م تم نفيه الى فرنسا و في 1836م توجه إلى اسطنبول و استقر بها حتى وفاته 1840م. ينظر: بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 167.

[6]- أحمد باي: المصدر السّابق، ص ص 3 - 38.

الفرنسيون مدافعهم على مشارفها وعملوا على قصفها بقيادة كلوزيل ونظرًا للتقلبات الجوية تراجعوا وطاردهم جيش أحمد باي إلى قالمة وانتصر عليهم وألحق بهم هزيمة نكراء مما أدى إلى عزل كلوزيل من منصبه.[1]

ولعل هذه الهزيمة الثّقيلة هي التي جعلت الفرنسيين يفكرون جديًا و يصرون على احتلال قسنطينة مهما كان الثمن مستغلين هدوء المنطقة الغربية بعد توقيعهم معاهدة مع الأمير عبد القادر من أجل التّفرغ للمنطقة الشّرقية، لذلك عادوا للهجوم مابين 13- 14 أكتوبر1837م، و في هذه المرة أعدّ الفرنسيون جيشًا ضخمًا مكونًا من 11 ألف جندي ودعّموه بضبّاط ساميين معروفين بقدراتهم القتالية تحت قيادة الجنرال دامريمون Damremon[2] الأمر الذي فرض على أحمد باي استئناف القتال وتنظيم عملية الدّفاع عن مدينته[3]، وقام بتجنيد أوسع و اعداد أكبر للمواجهة لاسيما أنه وجد استجابة لدى القبائل.[4]

وقام بتجنيد 5000 فارس و 2000 رجل و بدأ الحرب ضد الفرنسيين لمدة ثلاثة أيام متواصلة في معسكرهم ولكنه فشل هذه المرّة في صدّهم، فقد تمكّنوا من تنصيب الحصار على قسنطينة ثم دخلوها وعمل سكانها على قتل الجنرال دامرمون و تولى مكانه الجنرال فالي valee[5] كما قتل البجاوي خليفة الحاج أحمد في قسنطينة و هلك أحسن جنده، وقد غنم

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، المرجع السابق، ص 141.

[2]- هو شارل ماري كونت دونيس دامرمون، من مواليد منطقة شومون بمارن العليا في 8 فيفري 1783م، التحق بالمدرسة العسكرية في فونتان بلو وذلك في 18 ماي 1803م، أصبح ضابطاً كبيراً في صفوف اللفيف الأجنبي منذ 1827م، وفي 15 سبتمبر 1835م ارتقى إلى مرتبة الاشراف. ينظر: بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 149.

[3]- L'amicale des Algériens en Europe et Afrique Biblio club, présentent: Je connais Algérie, AAe/ABC, paris 1977.

[4]- محمد الطيب العلوي: **مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)**، د. ط، منشورات وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الاشهار، الجزائر، د. س، ص 68.

[5]- ولد في 17 ديسمبر 1773م، ببريان لوشاتو بفرنسا و توفي في 16 أوت 1846م، بباريس، و عندما تقاعد من الخدمة في الجيش كان يحمل رتبة ماريشال فرنسا، و زاوال حياته المهنية على الربط بين الوظيفتين العسكرية و السياسية، وفي الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة سنة 1837م كلف بقيادة سلاح المدفعية و الهندسة و بعد مقتل دامريمون خلفه فالي في القيادة العامة. ينظر: أحمد سيساوي: **البعد البايلكي في المشاريع السياسية الإستعمارية الفرنسية من فالي الى نابليون الثالث 1838-1871م**، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة قسنطينة2، 2013-2014م، ص ص 45-47.

الفرنسيون أشياء كثيرة وتخلى عليه ابن عيسى و عرض خدماته على الفرنسيين إلّا أنّ أحمد باي رفض الاستسلام رغم ضياع ملكه و بايلكه، و عرضت عليه فرنسا الأمان و بعثه إلى بلاد اسلامية فرفض ووضع خطط جديدة للمقاومة وقطع خط التموين عليهم، و قد اجتمعت عدّة عوامل سيئة تسببت في هلاكه من بينها :

- موت أو تخلى أحد قواده عنه.
- خلافه مع صهره بوعزيز و التحاقه بالفرنسيين.
- محاولة الأمير عبد القادر مد نفوذه إلى إقليم قسنطينة.
- غيرة باي تونس منه.
- جبهة فرنسا.

ولكن أحمد باي ظل يقاوم كل هذه العوامل من سقوط قسنطينة سنة 1837م حتى نهاية فترة مقاومته.[1]

انسحب إلى وادي ريغ لإتمام مقاومته التي بقيت بين مدّ وجزر مابين 1838- 1840م، وبعد احتلال الفرنسيين للزيبان انتقلت مقاومته إلى نواحي الأوراس، وفي الأخير استسلم الحاج أحمد باي و انتهت مقاومته للفرنسيين في شهر 5 جوان 1848م.[2]

2 - مقاومة سكان الزّواغة و فرجيوة بالبابور 1849-1865م

منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر، ثار سكان منطقة البابور بشمال قسنطينة لمقاومته، وخلال ثورة الزّعاطشة 1849م، كان سكان الزّواغة و فرجيوة أيضا في ثورة، حيث قامت فرنسا بتوجيه حملة على منطقة البابور تحت قيادة الجنرال سانت أرنو Saint Arnaud[3]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، المرجع السابق، ص13- 14.

[2]- علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر هجري- التاسع عشظر ميلادي**، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، 2000-2001م، ص 27.

[3]- ولد في 20 أوت 1798م اسمه الحقيقي أرنو جاك لوروي، أطلق عليه الملك شارل العاشر اسم آشيل، ذاع صيته في الجزائر بفضل اعماله الحربية الشرسة، إذ كوفئ بترقيته إلى رتبة ماريشال، وكانت له علاقات قوية من نابليون، وتوفي في 29 ديسمبر 1854م. ينظر: محمد سكال: **باسم الحضارة، جرائم حرب ضد الإنسانية ارتكبت في الجزائر من 1830 إلى 1962م**، تر: بشير بولفراق، د. ط، دار القصبة للنشّر، الجزائر، 2015م، ص 60.

في سنة 1853م لإخضاعها، وقام بفتح الطّريق وربطه بين بجاية وسطيف وهذا خلال شهور الصيف، وإستمرت بعد ذلك الحملات العسكرية على المنطقة بإستمرار الثّورات فيها ولو كانت بصورة متقطعة. وكانت عائلتا أولاد بن عز الدّين وأولاد بن عاشور صاحبتي سلطة ونفوذ متوارث منذ عهد الأتراك، الأولى في الزّواغة والثّانية في فرجيوة بجبال البابور وكانتا تقدمان مساعدات للجيش الفرنسي للدخول للمنطقة وإخضاعها، ورغم مساعدتهم للفرنسيين وخدمتهم، عملت السلطات الفرنسية على تحقيق أغراضها من العائلتين وأخذت تحطم نفوذهم وتقلص من سلطتهم بالمنطقة، وخلال عامي 1858و1860م عزلت فرنسا زعيم عائلة بن عز الدّين بورنان ونفته من المنطقة. [1]

أما عن عائلة بوعكاز بن عاشور، فعندما لاحظت فرنسا تأييد زعيمهم بوعكاز لعدّة حركات مثل ثورة الحاج عمر بجرجرة عام 1856م، عملت على إخضاعه بطريقة دبلوماسية ماكرة وأقنعوه بالإنتقال إلى مدينة قسنطينة للإستقرار بها مع احتفاظه بلقبه الإداري كقائد على فرجيوة وذلك في 3 نوفمبر 1861م، وقامت بتقسيم منطقته إلى قسمين ونصّبوا عليها ضابطاً فرنسياً برتبة "كابيتان" وساعده عدد من الأعوان الجزائريين .[2]

من بين الأسباب و العوامل التي أدت إلى اندلاع ثورة الزّواغة والفرجيوة، تعرض السّكان للتذمر السّياسي ورفضهم الخضوع لسيطرة الاحتلال الفرنسي، كما سيطر الفرنسيين على إدارة سكان المنطقة مباشرة لإخضاعهم بعدما تمكنت من تحطيم نفوذ عائلتي بن عز الدّين وبن عاشور، دور الإخوان والمقدمين الرّحمانيين ومشايخ الزّوايا ضد السّيطرة الفرنسية خلال أعوام 1861-1864م، وهذا العامل كان شامل في كل البلاد، كما قامت السّلطات الفرنسية بمنح غابات الفلّين إلى شركة فرنسية في ملحقة الميلية، وتستثمرها بدلاً من السّكان الذّين كان عملهم بها وكانت مصدر عيشهم وحياتهم، فغضبوا من هذا الإجراء وقاموا بإشعال الحريق في الغابات وإتلافها في الزّواغة حتى يحرموا تلك الشّركة من استثمارها وبلغ مجموع ما أحرقوه من أشجار الفلّين 550 ألف شجرة تقريبًا .[3]

---

[1]- يحي بوعزيز: المرجع السّابق، ص 141.

[2]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، د. ط، دار البصائر للنشّر و التّوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص 91 - 92.

[3]- نفس المرجع، ص ص 92 - 93.

كما أثّر انتشار أحداث ثورة أولاد سيدي الشّيخ، حتى وصلت إلى الشّرق الجزائري القسنطيني، وكذلك تأثير ثورة علي بن غذاهم بتونس التي اندلعت ضد الباي، الذي كان ألعوبة في يد القناصل الأجانب، ووصل تأثيرها إلى الشّرق القسنطيني عبر الحدود الشّرقية خاصّة مدينة الكاف التي كان يستقر بها عدد من اللاّجئين الجزائريين المنفيين ويقومون بدعايات واسعة ضد الاحتلال الفرنسي لمحاربته.[1]

وكان السّبب المباشر في تفجير الثّورة وغليان السّكان هو منح فرنسا غابات الفلين إلى شركة فرنسية للاستثمار فيها، وهذا دفع بالمقدم الرّحماني مولاي محمد بقيادة جماهير السّكان بالزّغاية في الزّاوغة خلال شهر ماي 1846م وحاصروا القرية وأحرقوا برج القائد وتكونوا في 6000 شخص من العروسة وأولاد عسكر وبني فراح، وأتهم في عملية الحرق القائد بورنان من عائلة بن عز الدّين، وكان أول إجراء إتخدته السّلطات الفرنسية ضد هذه الثّورة، القيام باعتقال بوعكاز بن عاشور وأولاد بن عز الدّين ومقدم الزّواغة الرّحماني، وقامت بنفي بوعكاز إلى مدينة "بو" بجنوب فرنسا، وأولاد بن عز الدّين إلى جزيرة "كوريسيكا"، إلا أنّ الثّورة لم تتوقف، ففي ليلتي25 و26 سبتمبر 1864م هاجم الثّوار قوات الجنرال حاكم عمالة قسنطينة، فرد "بيريقو" عليهم بمهاجمة سكان أربعون، وقتل حوالي 15 شخص، وكان ذلك الحصار على مدينة "تاقيطونت" في أفريل 1865م هو آخر أحداث هذه المقاومة. [2]

لم تكتفي السّلطات الفرنسية بنفي زعماء الثّورة إلى خارج البلاد، بل نفت عدد آخر من السّكان إلى جهات أخرى بداخلها، وقامت بفرض غرامات جماعية باهضة، وضاعفتها عليهم عندما رفضوا تقديمها إلى القائد المكلف بجمعها بحجة إمتناع السّكان عن دفع الضرائب، كما قسمت منطقة الزواغة وفرجيوة إلى مناطق إدارية صغيرة وأسندت السّلطة فيها إلى الضّباط الفرنسيين، ودفعت بالمستوطنين الأوربيين للاستقرار بها بعد طرد سكانها ومصادرة أراضيهم العقارية وحيواناتهم.[3]

---

[1]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدّولية**، د ط، دار البصائر للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 2009م، ص 229.

[2]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 144.

[3] - يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص ص 93 - 94.

3 - مقاومة الصّبايحية و الكبلوتي 1871م.

كانت فرق الصّبايحية تتألف من المتطوعين الجزائريين ويطلق عليهم أيضا اسم الحركة و الأورطا والصّبايحية وقد استحدثها الفرنسيون لتساعدهم على فرض سيطرتهم على البلاد، وقاموا بتنظيمها وتطويرها في عهد الإمبراطورية الفرنسية الثّانية، وأنسبت لهم مهام حيث كلّفتهم بحراسة المناطق التي يسكنونها ومراقبة السّكان من النّاحية السّياسية تحت اشراف ضابط فرنسي، وكانت أيضًا تقوم بإستدعائهم في حالة وجود اضطرابات في البلاد، أما عن الكبلوتي فهو "محمد بن الطّاهر بن رزقي" ينتسب إلى عائلة الحنانشة في شرق جبال الأوراس، وفي أواخر الستينات من القرن الماضي أصبح ثائرًا ومتمردًا على السّلطات الفرنسية .[1]

وهناك العديد من الدّوافع التي أدّت إلى قيام مقاومة الصّبايحية والكبلوتي ضد قوات الاحتلال الفرنسي، وخاصة حالة التّنكيل و التّعذيب الذّي تعرض له السّكان من قبل سلطات الاحتلال مما خلف حالة من التذّمر والسّخط، و كذا إصدار فرنسا قرار بتجنيد وتسفير البعض منهم في الحرب الفرنسية البروسية بتاريخ 18 جانفي 1871 م .[2]

ففي بدايات جانفي 1871 م تمرد الصّبايحية في زمالتهم في كل من مجبر، والطّارف وبوحجار وعين قطّار قرب الحدود التّونسية رافضين تسخيرهم إلى فرنسا في الحرب وتجمعوا في مزرعة عمي موسى والتف حولهم أهاليهم والغاضبون والقانطون من السّلطات الفرنسية كما انظم إليهم عدد من أهالي الحنانشة بزعامة أحمد صالح بن رزقي والفضيل بن رزقي والتحق بهم محمد الكبلوتي بن الطّاهر الذي كان لاجئًا بتونس وحاصروا سوق أهراس ثلاثة أيام كاملة وأشعلوا الحرائق في مزارع الأوروبيين وقتلوا 9 منهم، وقطعوا أسلاك الهّاتف بين القالة وسوق أهراس وخاضوا عدّة معارك من ضمنها : معركة عين سنور يوم 30 جانفي 1871 م.[3]

واستمروا في المناوشات عدّة أيام وإرتفع عدد القتلى الفرنسيين إلى 15 شخصًا، ولمّا اشتدّ ضغط القوّات الفرنسية ضدهم انسحبوا إلى داخل تونس بقيادة محمد الكبلوتي واستقبلهم الشّيخ الميزوني بالكاف استقبالًا حسنًا مما يؤكد تضامن المقاومين في كل من الجزائر وتونس وليبيا،

---

[1]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص ص 255 – 259.

[2]- نفس المرجع، ص 255.

[3]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص531 .

وقام الكبلوتي في منطقة الحدود بمكاتبة المشير مصطفى باشا ورئيس وزرائه مصطفى خزندار[1] لطلب الحماية وتقديم العون المادي له وللصّبايحية وقدمت لهم المساعدات الغذائية وأمر بإبعادهم عن منطقة الحدود فوزعوا على 4 عروش من عروش "دريد" إلّا أن الكبلوتي لم يتوقف عن نشاطه الثّوري بمنطقة الحدود واشترك في عدة معارك من ضمنها معركة 24 جوان ومعركة 30 أوت 1871 م التي استشهد فيها شقيقه الفضيل بن رزقي وبقي يتردد بين تونس والجزائر إلى أن تم طرده من تونس بصفة نهائية عام 1872 م مع بن ناصر بن شهرة، وبقي يتنقل بين طرابلس وتونس حتى استقر في تونس خفية بجلاص وتم اعتقاله وسجنه إلى أن انهارت صحته وتوفي ليلة الأربعاء في شهر افريل 1884 م .[2]

وقامت السّلطات الفرنسية بتطبيق اجراءات قاسية ضد العائلات الثّائرة فحاكمت 134 شخص أمام المحكمة العسكرية الاستثنائية بعنابة، وأصدرت الحكم بالإعدام على خمسة، وبالأشغال الشّاقة والمؤبّدة على 20 منهم، وبالنفي والإقامة الجبرية على 40 منهم، كما فرضت على الثّوار غرامات مالية قدرت ب376 الف فرنك، وتم إعدام عدد من النّاس أمام الجمهور في السّاحة العامة بمدينة سوق أهراس بعد فك الحصار عنها مباشرة، وتمّ اعتماد سياسة مصادرة الأراضي والأملاك بالجملة، وأخذ رهائن حتى يتم دفع الغرامات المفروضة عليهم، أما الأوروبيين فقد اتّهموا ببعض الحوادث وقد برأت المحكمة ساحاتهم.[3]

[1] - هو الوزير الأول التّونسي، حكم مابين 1837 – 1873م، شهد عهده دخول تونس إلى هاوية الإفلاس و أغرقت بالديّون، ممّا أدخلها في اضطرابات كبيرة و اندلاع الثّورات بها كثورة علي بن غذاهم 1864م، و ظهور المجاعة و مرض الكوليرا 1867م. للمزيد ينظر: ينظر: محمد الهادي الشّريف: **تاريخ تونس**، د. ط، دار سراسر، تونس، 2001م، ص ص 97- 98.

[2] - يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص ص 531 – 532 .

[3] - يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص 258.

ثانياّ: أبرز مقاومات الغرب الجزائري.

1- مقاومة الأمير عبد القادر[1] 1832-1847 م :

كان إقليم وهران أكثر تعقيدًا وتحرجًا بالنسبة للفرنسيين لأنّ معظم القبائل كانت تشن الغارات المتوالية ضدّهم، وبعد امتلاك فرنسا للإقليم، وفي ظّل تلك الظّروف اجتمع أهل العقد والحّل والأشراف والعلماء والأعيان في غربي الجزائر، وقدموا في عام 1832م إلى الشّريف محي الدين[2] شيخ الطّريقة القادرية وعرضوا عليه مبايعتهم على الإرادة لنفسه أو لولده .[3]

و بعد معركتي "خنق النّطاح" و"برج رأس العين" في 3 أفريل و 4 ماي 1832م التي شارك فيها الأمير عبد القادر، لأن والده محي الدين أصبح غير قادر على الجهاد نظرًا لكبر سنه، رأى أنّ ولده قد أصبح أهلاً لهذا الأمر ففاتحه في الموضوع فقبل وكان عمره حينها 24 سنة، وبايعته القبائل للإمارة و اتّخذ من مدينته معسكر حاضرة له، وأخذ ينظّم شؤون إمارته ويخضع القبائل المناوئة له حتى يتفرغ لمجابهة الفرنسيين لمواصلة مسيرة أبيه في الجهاد. [4]

وبعد دخول الأمير إلى معسكر طلب من أهلها مبايعته وكان هدفه الأسمى هو تحقيق ما فيه الصّلاح والخير والاتّكال على الله، وبعد بيعته اختار مجموعة من القواد كانوا أكثر قدرةً ورصانةً ووزع عليهم العمل في القبائل لإقناعها بدفع ضرائب الحرب والمساعدات الممكنة لتكوين جيش حول دولته. وكان مسموع الكلمة في خطاباته حيث يبدأها دائما بآيات من القرآن

---

[1]- هو الأمير عبد القادر بن محي الدين ولد في ماي 1807 ببلدة القيطنة قرب مدينة معسكر، فهو من آل بيت الرّسول صلى الله عليه وسلم، تعلم القراءة و الكتابة و عمره لا يتجاوز 5 سنوات، و حفظ القرآن الكريم و له معرفة بأحوال الشريعة و لم يتجاوز 12 سنة، ثم عندما أصبح عمره 17 سنة ذهب الى الحج مع والده ثم رجع عام 1828م الى مدينته، و بعد الاحتلال الفرنسي تمت مبايعته للجهاد سنة 1832م، توفي عام 1883م بدمشق. ينظر: بشير بلاح: المرجع السّابق، ص ص 168- 182.

[2]- هو الشيخ محي الدين بن مصطفى بن مختار الحسني الرّاشدي الغريسي، ولد عام (1776- 1777م)، أحد مشايخ الطريقة القادرية، اشتهر بصلاح و كان يتمتع بالقوة الوطنية و الدافع الديني، قاد عدة معارك ضد القوات الفرنسية منها خنق النطاح الأولى و الثانية، توفي في نوفمبر 1833م. ينظر: بقبق الزهرة: **الأمير عبد القادر في الأسر(1849- 1852م)** ، (رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر)، جامعة وهران، 2009- 2010م، ص 4.

[3]- شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م، ص365.

[4] - برونو اتيين: **عبد القادر الجزائري**، تر: ميشل خوري، ط1، دار عطية للنشر، لبنان، 1997م ص ص 147- 155.

الكريم.[1] كقوله تعالى:" فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاء حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "[2]

وقسّم الأمير جيشه إلى ثلاثة أقسام : المشاة والفرسان والمدفعيين، ولكل قسم ثيابه الرّسمية وتجهيزاته الخّاصة به، والعسكر مقسم إلى مئات على رأس كل منه قائد وله معاونان، والخيّالة تتألف من كوكبات كل كوكبة من 50 فارس، وعين لكل مدفع اثني عشر جنديًا، و بهذا التوزيع ساد الانضباط وكان نظامه شديدًا وبحضور منتظم وتلاوة القانون العسكري مرتين في الشّهر، استعراض الرجال والمعدات، تمارين ومناورات ثلاث مرات في الأسبوع، وقام بتشكيل فرق طبية في كل قاعدة، وقام بوضع علامات وإشارات محددة تتيح تمييز الجنود وفق رتبهم وأسلحتهم مثل: شارة رجال المدفعية هي: (دع ثقتك بالله وبالرّسول) ثم عبارة : (وما رميت ولكن الله رمى).[3]

ثم قرّر الأمير مواجهة كل من حاول مقاومة سلطته، ومن بينهم سيدي العربي، حيث باغته الأمير على رأس 5000 رجل، معلنًا قدومه بطلقات البنادق وصيحات الانتصار، وهنا بهت منافسه وشمل الدّفاع الذي حوّله بسرعة، فقد أقلعت الخيام وقبض على الأسرى وسيقت الماشية ولم يحصل سيدي العربي على غفران الماضي وأمل المستقبل إلا برسائل تعهد مكتوب بالطّاعة وتقديم ابنه كرهينة لدى قاهره، وأثناء مواصلة الأمير لعمله انضّم إليه عدد من القبائل، وتمكن من احتلال مدينة أرزيو، والسّيطرة على تلمسان وعين أحد مساعديه حاكمًا عليها ثم رجع إلى معسكر.[4]

وفي 2 أوت 1833م استولى الجنرال ديمشيال Dumichels[5] على أرزيو و مستغانم وسارع الأمير عبد القادر إلى بذل قصارى جهده لوضع حد ضدّ التّوسع الفرنسي في إقليم

---

[1] - برونو اتيين: المصدر السّابق، ص ص 147 – 155.

[2] - القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية 17.

[3] - برونو اتين: المصدر السّابق، ص 158.

[4]- هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: الدكتور أبو القاسم سعد الله، د. ت. ن. و. ت، تونس، 1974م، ص 66.

[5]- ولد بديني بفرنسا في 15 مارس 1779م، والتحق بالجيش و بلغ رتبة جنرال لما عين قائد بمقاطعة وهران 1833-1835م، في بداية قيادته حاول الاعتماد على القوة لإخضاع القبائل و المدن المجاورة لوهران، و توفي بباريس في 8 جوان 1845م. ينظر: بقبق الزهرة: المرجع السّابق، ص 12.

وهران وعند وصوله إلى أسوار مستغانم هاجمها في الحال، وفي 5 أوت أرسل ديمشيال قوة مكونة من 3000 فارس ورجل مع ثلاثة قطع من مدفعية لمهاجمة الدوائر والزمالة، التي نفذت عليهم الحصار بأمر من الأمير، وفي اليوم السّادس حلّ الجيش الفرنسي بمضارب الخيام العربية ولحق بهم الأمير عبد القادر، و أسرع المشاة الفرنسيون بالتّراجع، وتمكّن الأمير من تحقيق النصر، ورجع بسرعة لمحاصرة مستغانم، ونظرًا لقوة الفرنسيين رفع الأمير الحصار وعاد إلى معسكر .[1]

فالانتصارات الباهرة للأمير عسكريًا على فرنسا، مكنته من السّيطرة على كل من أرزيو ومستغانم وتلمسان، و هذا دفع بفرنسا إلى الرّضوخ واللّجوء إلى الحل السّياسي معه والتّفاوض، وبعد الاتصالات نتجت عنها تبادل وثيقتين بين الأمير عبد القادر والجنرال الفرنسي ديمشيال وتم توقيع " معاهدة ديميشال" في 26 فيفري 1834م، حيث ضمنت للأمير عبد القادر وضعية الحاكم القوي، وهذا ما مكّنه من وضع اللبنات الأولى لـدولـته و توسيـع مـد نـفـوذه و سلطته، و هذا ما اثار تخوف فرنسا، حيث استمالت بعض القبائل إلى جانبها و وضعتهم تحت حمايتها واعتبر الأمير هذا الأمر خرقًا للمعاهدة و أدى هذا إلى وقوع معركة "المقطع" في جوان 1836م.[2]

و مع النّجاحات التي حققها كل من الامير عبد القادر و أحمد باي ضد فرنسا سارع الجنرال بيجو Bugeaud [3] إلى عقد معاهدة صلح مع الأمير من أجل التّفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي وسمّي هذا الصلح بمعاهدة " التّافنة " بتاريخ 30 ماي 1837م، و كان لكل طرف شروطه الخاصة.[4]

---

[1]- هنري تشرشل: المصدر السّابق، ص 69.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، د. ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، 2000م، ص 208.

[3]- هو تماس روبير بوجو t.r.bugeaud، ماريشال فرنسي، من مواليد ليموج (1784- 1849م) ساهم بقدر كبير في دعم الاستعمار الفرنسي للجزائر و تقويته، وقد تم تعينه سنة 1840م حاكمًا على الجزائر. ينظر: بسام العسلي: **الأمير عبد القادر الجزائري**، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص 110.

[4]- يوهان كارل بيرنت: **الأمير عبد القادر**، ترو تق: أبو العيد دودو، شركة دار الأمة، الجزائر، مج 2، 2009م، ص 177.

وبالتّالي تمكّن الأمير في فترة ما بين 1837 – 1839م من وضع أسس دولته وتوسيع مجالها حتى شملت كل الغرب باستثناء وهران ومستغانم و أرزيو والوسط إلّا العاصمة ومحيطها والجنوب القسنطيني أي الأوراس و الزيبان وامتدت جنوبًا إلى شمال الصّحراء، وبلاد القبائل احتل الغزاة قسنطينة وجيجل و سطيف وغيرها، ولم يحرك الأمير ساكناً، وعمل على تقسيم الجزائر إلى ثمانية مقاطعات على رأس كل منها خليفة وتنظيم حكومته وتابع اهتمامه بشؤون الجيش والدّفاع وذلك بفرض ضرائب لتمويل الجهاد وشراء الأسلحة من الخارج، وعمل على إقامة جهاز قضائي مستمدًا أحكامه من الشّريعة الإسلامية وتشجيع التّعليم .... إلخ.[1]

وهذا أثار تخوف فرنسا ممّا دفع بها إلى الاحتجاج ضد توسع الأمير نحو الشّرق بإعتباره خرقًا للمعاهدة وعملوا على إبطالها وإرجاع الحرب من جديد وقاموا بتوسيع احتلالهم للمناطق الواقعة بين تونس وجرجرة، حيث قدموا في أواسط أكتوبر 1839م، على تسيير حملة من قسنطينة إلى الجزائر وقامت باختراق المناطق التابعة للأمير.[2]

وفي 18 نوفمبر 1839م أعلن الأمير عبد القادر رسميًا الحرب على الفرنسيين و هذا أحدث ضجة لدى فرنسا و قامت بتعزيز و تدعيم القوات الفرنسية في مدينتي البليدة و بوفاريك، كما أرسلت وحدات عسكرية تقدر ببضعة آلاف لحماية ما بقى من المستعمرات المخربة، كما وجهت برقيات مستعجلة إلى الحكومة الفرنسية تطلعها على تفاصيل الأحداث الأخيرة و قامت هذه الأخيرة بإرسال تعزيزات عسكرية بسرعة إلى مدينة الجزائر لأن الأمير في هذه الأثناء يمثل صاحب سيادة حقيقية على كامل الجزائر باستثناء المدن السّاحلية.[3]

بتولى بيجو حكم الجزائر سنة 1841م، اعتمد على سياسة القهر و العنف ضد الجزائريين و سياسة الحرب و الإبادة للمقاومة باستعمال كل الوسائل الممكنة. و لتحقيق ذلك استولى جنوده على المدن التي كانت تحت سلطة الأمير، خصوصاً تلمسان، المدية، مليانة، تاكدامت، معسكر...الخ. وحارب ضباطه حلفاء الأمير في هذه المدن و في المناطق النائية عن النفوذ

[1]- بشير بلاح: المرجع السّابق، ص ص 82 - 84.

[2]- بسام العسلي: المرجع السّابق، ص 130.

[3] - هنري تشرشل: المصدر السّابق، ص ص 184 – 187.

الفرنسي، إلى أن وقعت الزمالة نفسها في أيدى العدو سنة 1843م، فقد استولى الدوق دومال Duc d'aumale [1] و قضى على من فيها.[2]

نظراً لانقلاب الكفة لصالح السّياسة الفرنسية وضياع معظم الإمكانات الحربية و الموارد المالية المتبقية لدولة الأمير اضطر الأمير عبد القادر إلى اللجوء إلى المغرب في نوفمبر 1843م، وصدم بالرّفض الحكومي المغربي نتيجة للتهديدات الفرنسية للمغرب والتي وصلت إلى حد قصف مدينتي موغادور وطنجة و إلحاق الهزيمة بجيش السّلطان في معركة "ايسلي" في 14 أوت 1844م، الأمر الذي اضطر السّلطان المغربي إلى إبرام "معاهدة طنجة " بتاريخ 10 سبتمبر 1844م مع الفرنسيين التي التزم بموجبها بملاحقة الأمير وطرده أو إلقاء القبض عليه. وتأكدت القطيعة بين الأمير و السّلطان المغربي بفعل معاهدة " لالة مغنية" في 18 مارس 1845م التي حدّت الحدود و أعتبر الأمير بموجبها خارجاً عن القانون، مما أدى إلى اشتباكات دامية بين الطرفين منذ شهر أوت حتى ديسمبر 1847م.[3]

و في 22 سبتمبر 1845م رجع الأمير إلى الجزائر على رأس قوة مجهزة و دخل في معارك مع الفرنسيين، مثل معركة سيدي إبراهيم بين 23 و 25 سبتمبر 1845م، هلك نحو 400 فرنسي و أسر 200 منهم و تمكن من استرجاع قواه، مما دفع بفرنسا إلى جلب قوات إضافية ضخمة عام1847م، وعمل بيجو بالتّضييق على الأمير بعد اختلال موازين القوى مما أدى إلى انسحاب الأمير إلى المغرب في جويلية 1847م، فواجهته القوّات المبعوثة من قبل السّلطان المغربي و بالتّالي وجد الأمير نفسه محصورًا بين قوة فرنسا من جهة و قوة السّلطة المغربية من جهة أخرى.[4]

دفعت الضّغوطات المتكررة على الأمير و الخسائر الكبيرة التي تعرض لها إلى الاستسلام و تسليم نفسه حيث قال لجنده ((لا أرى إلّا التّسليم لقضاء الله تعالى و الرضى به،

---

[1] - هو الابن الرابع للويس فيليب و هو الذي قضى على فرقة الزمالة للأمير عبد القادر في ماي 1843م. ينظر عميراوي أحميدة: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط 2، شركة دار الهدى للطّباعة و النّشر و التّوزيع، الجزائر، 2004م، ص 125.

[2] - أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السّابق، ص ص 216 – 218.

[3] - ناصر الدين سعيدوني: المرجع السّابق، ص 224.

[4] - بشير بلاح: المرجع السّابق، ص ص 93- 94.

و لقد أجهدت نفسي في الذّب عن الدّين و البلاد، و بذلك وسعي في طلب راحة الحاضر منها و البلاد...)) و بهذا سلم نفسه لفرنسا و ركب هو و عائلته و أتباعه في 25 ديسمبر 1847م، سفينة وحمّلوا إلى ميناء "طولون" ثم إلى مدينة "بو" في مقاطعة أورليان ثم أطلق سراحه وذهب إلى دمشق حتى توفي بها. [1]

ثالثاُ: أبرز مقاومات الوسط الجزائري.

1- مقاومة المقراني[2] و الحداد[3] 1871 - 1872 م

في ظل المضايقات التي تعرضت لها الجزائر عامة، و المقراني خاصة وأنّه لم يكن أمامه خيار إلّا خوض غمار الكفاح و الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي فقام بجمع أعضاء أسرته و بالتماس تحالف الشّيخ الحداد و أتباعه من الفلاحين[4] و عدد من الأعيان التّابعين لقطاع قيادته في مساء 14 مارس 1871م لعرض الطّرق التي يمكن التّعبير من خلالها عن المعارضة و محاربة الفرنسيين، وقرّر مهاجمة ممتلكات خصومه عبد السّلام و الحاج عبد الله. كما قرر الاعتداء على مزارع المستوطنين لإجبارهم على التّخلي عن ممتلكاتهم وقام بإرسال مبعوثين إلى القبائل الصّديقة لحثها على الانتفاضة، لتدمير برج بوعريريج والقضاء على الحامية المتواجدة فيه.[5]

ومع إشراقة يوم 16 مارس هاجم الشّيخ المقراني و أتباعه منطقة برج بوعريريج بقوة عسكرية تفوق 8000 مجاهد، ثم توسعت إلى مناطق شرشال و مليانة و بلاد القبائل، لتشمل

---

[1]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر(سيرته السيفية)**، المطبعة التجارية، عزوزي و جاويش، الاسكندرية، ج1، 1903م، ص ص 223- 224.

[2] - هو محمد ابن الحاج أحمد المقراني، من قلعة بني عباس، ومنح من طرف الفرنسيين منصب أبيه أي خليفة مجانة بلقب" الباشاغا"، وشرعوا في مضايقته و إضعاف نفوذه منذ عام 1857م، مما دفع به لإعلان الثورة ضدهم، والتي استشهد فيها عام 1871م. ينظر: بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 293.

[3] - هو محمد أمزيان بن علي الحداد من مواليد 1790م، شيخ الطريقة الرحمانية، ولد ببلدة صدوق من بلاد القبائل الصغرى، لعب دورا رئيسيا في ثورة 1871م، وقامت فرنسا بمصادرة أملاكه وها على المستوطنين، وتوفي مسجونا ببجاية سنة 1873م. ينظر: نفس المرجع، ص 293.

[4] - شارل روبير أجرون: **الجزائريون المسلمون و فرنسا** 1871 – 1919، د. ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ج1، د. س، ص 24.

[5] - مولود قايد: **المقراني**، تر: سهيلة بربارة، ط1، منشورات ميموني، د. ب، 2013م، ص 134.

فيما بعد القل و جيجل في الشّرق والمسيلة و الحضنة و بسكرة و غيرها جنوبًا، وامتدّت حتى المناطق السّاحلية، و استمدت هذة الثّورة قوتها من دعم الشّيخ الحداد الذي انظمّ للقوات لتوحيد الجهود لمقاومة العدو، و كان له الفضل الكبير في تجنيد المواطنين و حشد هممهم تحت راية الجهاد.[1]

وبالتالي فقد كان الحاج المقراني و أخوه بومرزاق و الحداد قادة عظماء لثورة شعبية على طول و عرض الجزائر، و استمرت عامًا كاملاً، حيث تمكنت قياداتها من توحيد صفوف المجاهدين عبر كامل الإقليم إذ كان الحاج يتنقل من موقع إلى موقع لمكافحة الفرنسيين عامًا كاملاً، مما جعل السّلطات الفرنسية تضيّق عنه الخناق و طالبته بالاستسلام حيث قال الحاكم العام الجديد: " سوف يحال المقراني على محكمة الجنايات و ليس أمامه مخرج سوى الموت كما يموت الفرسان " فأبي الباش آغا الاستسلام إلى أن قتل برصاصة في جبينه عندما كان يؤدي الصّلاة وذلك في 5 ماي 1871،[2] و إلقاء القبض على الشّيخ الحداد و أتباعه من قبل السّلطات الفرنسية.[3]

لم ينطفئ فتيل المقاومة باعتقال الحداد و مقتل المقراني بل ناد النّاس بإسم أخيه بومرزاق ليقود الكتائب و يرد الثّأر فكانت الإمدادات الحربية تصل له من كل منطقة،[4] وسعى إلى تنظيم صفوف المقاومة و القيام بمعركة كبيرة و حاسمة في 8 أكتوبر 1871 ضد الفرنسيين بالقرب من قلعة بني حماد ببجاية، لكن انعدام الوسائل الحربية المتطورة و غياب التّنظيم المحكم أديا إلى الانهزام، و إلقاء القبض عليه[5] في 20 جانفي 1872 بواحة الرويسات قرب

---

[1] - L'amicale des Algériens en Europe et Afrique Biblio- club, présentent, Je connais Algérie, Op.Cit.

[2] - شارل روبر أجرون: المرجع السّابق، ص 25.

[3] - صالح عوض: المرجع السّابق، ص ص 170 - 171.

[4] - Boualem Bessayh: L' algérie belle et rebelle de jugurtha à nouvembre, impression A N E, prèmes,rouiba, 2004, p,91.

[5] - عبد الوهاب بن خليف: المرجع السّابق، ص 87.

ورقلة،[1] وأبعدته السّلطات الفرنسية إلى " كاليدونيا الجديدة "، فانتهت هذه المقاومة الطّويلة و العنيفة[2].

طبع على مقاومة 1871م نقص التّماسك و التّنسيق والتي رغم انتشارها إلاّ أنّها انتهت بهزيمة تدل على أن عمل التوحيد الذي قام به الأمير عبد القادر لم يكتمل بعد من جهة ومن جهة أخرى لم تسمح للمقاومين أن يخوضوا حرباً بنفس القواعد التي خاض بها الأمير عبد القادر الحرب، وتدل سرعة إخماد هذه المقاومة على تزعزع قواعد المجتمع الجزائري.[3]

حيث خلفت ما يقرب 100 ألف شهيد، و فرضت غرامات مالية على القبائل الثّائرة قدّرت بمبلغ 36 مليون فرنك فرنسي،[4] و بقيت الجزائر في قبضة الجيش بعد ثورة عام 1871، إذ أصبحت ملكًا للمستوطنين، واعتبرت فرنسا الجزائر رقعة خاضعة لنشاطها الاستيطاني، و عملت على إزاحة جميع القبائل التي شاركت في الانتفاضة إلى الصّحراء، بحيث سهلت مجئ الأوروبيين إلى شمال الجزائر، بهدف تعمير البلاد التي تم غزو كامل ترابها. إذ صدرت 500 ألف هكتار من الأراضي ومنحتها للمعمرين، و أبعادت سكان منطقة القبائل إلى المنحدرات الشّديدة من الجبال أو على قممها، نظرا للمساحات المحدودة التي أتيحت لهم، و اضطروا للهجرة من أجل العمل وكسب العيش، و استخدمت تهديد السّلاح ضد الرّافضين للتهجير[5] وقامت بمطاردتهم إلى الحدود التونسية.[6]

[1] - صالح عوض: المرجع السّابق، ص 171.

[2] - عبد الوهاب بن خليف: المرجع السّابق، ص 87.

[3] - Mohamed Teguia: L'algerie en guerre,(o.p.u), Alger,2007,p p17-18.

[4] - عبد الوهاب بن خليف: المرجع السّابق، ص 87.

[5] - مولود قايد: المرجع السّابق، ص ص224 - 225.

[6] - للمزيد ينظر للملحق رقم 1 ، ص102.

رابعاً: أبرز مقاومات الجنوب الجزائري.

1- مقاومة الزّعاطشة

تقع واحة الزّعاطشة بمنطقة الزّيبان الظهراوي على بعد 35 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة. وكان يترأسها شيخ الزّيبان المتصوف أحمد بوزيان،[1] وبوصول القوات الفرنسية عمّت حالة المقاومة بالمنطقة، حيث حاول الضابط سيروكا Seroka[2] القبض على بوزيان ولكن السّكان وقفوا في وجهه و أغلقوا أبواب الواحة وحملوا السّلاح و أطلق بوزيان طلقات نارية من بندقيته دليلاً على استعداده هو و رفقائه للمواجهة بعنف، مما اضطر الضّابط سييروكا أن ينسحب من الزّعاطشة ويتوجه إلى بوشقرون .[3]

وبقيت فرنسا ترسل مبعوثين إلى المنطقة ليطلبوا من سكانها تسليم الشّيخ بوزيان ولكن دون جدوى. و حاولت أيضًا أن تعزل ما يحدث في الزّعاطشة لمنع المقاومة من الانتشار و الامتداد إلى جهات أخرى و خاصة الزّاب الغربي، حيث " كلفوا شيخ العرب ابن قانة بإعداد فرق للحراسة في كل النّواحي غير أنّه عجز عن أداء هذا الدور، لأن النّاس رفضوا أن يتقبلوا هذه المهمة "، و بالتالي نجح بوزيان في التّوسع حتى وصل إلى الحضنة و الزاب الغربي .[4]

ومن هنا أخذت المقاومة تنتشر حتى وصلت إلى جهات الأوْراس، و هذا بفضل نشاط الشّيخ بوزيان من خلال رسائله المتعددة التي كان يوجهها إلى زعماء السّكان، فظهر الشّيخ حكمت بن الجودي شيخ أولاد زيان، و ظهر المرابط الشّيخ عبد الحفيظ مقدم (إخوان بن عبد الرّحمان) والذي كان له دورًا هامًا في تحريض سكان المنطقة لدعم المقاومة في سطيف

---

[1]- مقدم الطّريقة الدّرقاوية بمنطقة الزّيبان، عمل تحت امرة الامير عبد القادر كشيخ على الزّاب الظّهراوي. ينظر: محمد عيساوي و نبيل شريخي: **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871م**، د. ط، مؤسسة شطيبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص211.

[2]- هو ضابط فرنسي أرسل سراً يوم 16 ماي 1849م إلى الزّعاطشة للاستعلام على الأوضاع و إلقاء القبض على بوزيان الذي دعوه بالمشوش. ينظر: يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين،"ثورات القرن التاسع عشر**، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،ج1، 1994م ، ص 89.

[3] - نفسه.

[4] - نفس المرجع، ص 90.

و باتنة، و ساعد هذه الانتفاضة الشّيخ حامد بلحاج الذي التحق بقرية سيدي عقبة ثم ببوسعادة ليرأس المقاومة بها و يوسع رقعتها و يطور نشاطها.[1]

و بعد فشل فرنسا في منع المقاومة من الانتشار ذهبت إلى اعتماد سياسة الانتقام بأسلوبها القائم على إبادة العنصر البشري، و هذا ما وقع للقبائل التي شاركت إلى جانب الشّيخ بوزيان، حيث جهزت فرنسا لتنفيذ إبادتها ضباطها منهم الماريشال هيربيون Herbillon Emile،[2]و هذا بعد قرار الحاكم العام الفرنسي شارون Charon بإرسال حملة ضد القبائل التي وصفها بالمنشقة و المشاغبة، وجاء في جريدة الأخبار الصّادرة بتاريخ 20 نوفمبر 1849م مايلي: ((إن علينا في الزّعاطشة أن نلقي القبض خلال يومين أو ثلاثة على 1200 أو 1500 من المتعصبين الذين احتشدوا في قلعة الزّعاطشة الضّيقة)).[3]

وفي أكتوبر 1849م أرسل الفرنسيون حملة أخرى ضد الزّعاطشة لمعاقبة السّكان، بعد فشل حملتي 16 ماي و 16 و 17 جويلية، ولكن أمام فشلهم المتكرر تحتم عليهم طلب المساعدة من قسنطينة تحت قيادة الجنرال هيربيون و العقيد كانروبيرCanrobert ، حيث قام هيربيون بقطع المئات من أشجار النخيل لنزع الحماية عن الثّوار، إلاّ أنّ بوزيان تمكن من اجتياح خندق فرنسي بعد قيامه بعدّة مواجهات. [4]

و أثرت السّياسة الإجرامية لهيربيون في نفوس الجزائريين البعيدين، حيث تأهبوا للقتال وثاروا للانتقام كلاً بطريقته حيث شدّت أعداد كبيرة من وادي سوف الرحال إلى ميدان المعركة وما إن وصلوا حتى انظموا إلى المقاومة بكل مالديهم من قوة مادية ومعنوية، وهذا زاد من ثقة الثّوار وزاد من عزم سكان الواحات الأخرى و صار الجيش الفرنسي يهاجم في كل حين ومن كل جهة حتى أنّ هيربيون اعترف بأنه خسر أكثر من ألف رجل في ظرف أسبوع واحد، وفي

---

[1] - صالح عوض: **معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 الى سنة 1962**، دراسة تحليلية، ط1، مطبعة دحلب، الجزائر،ج1، 1989م، ص 157.

[2]- ولد بمدينة شالون في مارس 1794م، انضم إلى الجيش سنة 1813م، إلتحق بالجزائر في سنة 1837م، وفي 3 نوفمبر 1863م أصبح ماريشالا، سيناتورا عام 1865م. ينظر: محمد عيساوي و نبيل شريخي: المرجع السّابق، ص 212.

[3]- نفس المرجع، ص 211.

[4]- محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954م**، تر: محمد المعراجي، د. ط، مطبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2008م، ص 130.

15 نوفمبر وصلت نجدة للعدو مكونة من 5 آلاف مقاتل وعدد كبير من قطع الأسلحة الثّقيلة، ولكن الوضع لم يتغير وبقي في حال كرّ وفرّ حتى يوم 26 نوفمبر.[1]

في يوم 26 نوفمبر رمي الفرنسيون بكل ثقلهم على الواحة و اقتحموها و استمر الضرب من الصباح الباكر إلى منتصف النّهار، و احتلوا القرية دارًا دارًا، و زقاقًا زقاقًا. وقاوم الشّيخ بوزيان و ابنه موسى إلى أن سقطوا تحت ضربات الرّصاص فقطعت رؤوسهم و حمّلت إلى بسكرة حيث علّقت هناك على إحدى أبوابها .[2]

نتيجة لهذه المقاومة سقط أكثر من 800 قتيل، وتدمير القرى الثّلاث في منطقة نارة عن آخرها[3] و تخريب الواحة و هدم البيوت، وقطع أكثر من 10 آلاف نخلة و سلب الآلاف من الإبل و الأغنام .[4]

بعد كل هذا كلفوا الكولونيل لوجين دوماس Daumas[5] باحتلال قصر بوسعادة و تحويله إلى مركز للمكتب العربي ليكون منطلقًا للسيطرة على منطقة أولاد نايل كلها، و تمّ تعيين العقيد "كانروبير" حاكمًا على منطقة باتنة فأخذ يتنقل بين بللزمة و الحضنة للقضاء على المقاومة التي انطلقت من بلدة "نارا بوادي عبدي" كرد فعل لأحداث الزّعاطشة و ضد سياسة الضّرائب المجحفة التي فرضت عليهم عام 1850م، وكان أولاد سلطان هم الذين تزعموا هذه الحركة .[6]

---

[1] - محمد العربي الزّبيري: **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015م، ص ص 65 - 72.

[2] - يحي بوعزيز: المرجع السّابق، ص 95.

[3] - محفوظ قداش: المرجع السّابق، ص 130.

[4] - بوعزة بو ضرساية: **الجرائم الفرنسية و الإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن19م**، ط. خ، م. م. و. د. ب. ح. و. ث. ن ، الجزائر، 2007م، ص 132.

[5] - ولد في سبتمبر 1803م، عين مديراً للشؤون العربية عام 1844م، ثم مديراً لمجلس الشيوخ عام 1858م، وتوفي سنة 1871م. ينظر: محمد عيساوي و نبيل شريخي: المرجع السّابق، ص 215.

[6] - يحي بوعزيز: المرجع السّابق، ص 95.

وإمعانا في التّشفي وتحفيز الجنود قامت إدارة الاحتلال بمكافأة الضّباط على أفعالهم الدّنيئة، حيث تم ترقيتهم مثل: الضّابط "كانروبير" منح له لقب الجنرال، وهذا ما يدلّ على أنّ هذه الأعمال الإجرامية تمّت بأمر من الحكومة الفرنسية .

2- مقاومة الشّريف محمد بن عبد الله [1] 1851-1895م

بعد سيطرة فرنسا على المناطق الشّمالية من البلاد، وجهت أنظارها لاحتلال المناطق الجنوبية وهذا لكي يمتد نفوذها نحو الصّحراء الجزائرية، حتى يتحقق حلمها في تكوين إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف و الرّبط بين مستعمراتها، إلّا أنّها وقفت في وجهها العديد من المقاومات التي قادها مجموعة من الزّعماء، ومن بينها مقاومة الشّريف محمد بن عبد الله التي شملت مناطق واسعة من الصّحراء وفي مقدمتها ورقلة وتقرت والأغواط، و كان للشّريف أسباب عديدة دفعته لإشعال فتيل المقاومة في المنطقة.

بعد رجوع الشّريف محمد بن عبد الله من رحلة الحج إلى الجزائر عن طريق ليبيا، و دخوله الجريد التّونسي فوادي سوف و تقرت إلى أن استقر بورقلة أين احتضنته الزّاوية القادرية بالرويسات سنة 1851م، حيث لقي استقبالاً كبيرًا بها، و اتفق الأهالي على تنصيبه سلطانًا عليها في حال انتصاره على الأعداء باقتراح من الحاجة الزهرة، وتمت بيعته كسلطان عليها في صائفة سنة 1851م، وكان اختيار المقاوم بن عبد الله لورقلة كمركزًا لجهاده، يعود إلى الأوضاع السّياسية و العسكرية في المنطقة ومنها:

أ- الفراغ السّياسي الذي عرفته ورقلة بعد القضاء على حكم أسرة أولاد علّاهم .

ب- عدم خضوعها لعملية الاحتلال من قبل، و بالتّالي فهي الملجأ الآمن للكثير من المقاومين الجزائريين.[2]

---

[1] - أصله من قبيلة روسل قرب عين تيموشنت، انتقل الى تلمسان و اشتغل معلما للقرآن، و اعتكف في ضريح ابي مدين وبدا يجمع الأنصار فأمرته السّلطات الفرنسية أن يذهب الى الحج للتخلص من مشاغباته، فالتقى بمحمد علي السّنوسي وانشأ معا زاوية دينية اتخذاها مركزا لتجميع الجزائريين المضطهدين، ورجع إلى الجزائر في عام 1850م واستقر بورقلة ومنها انطلق كفاحه. ينظر: علي غنابزية: **أدوار الكفاح المسلح في وادي سوف و الجنوب الشّرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي 1854-1962م**، ط1، مطبعة الوادي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر، 2016م، ص 18.

[2]- رضوان شافو: **الجنوب الشّرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجا 1844-1962م**، (أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، 2011-2012م، ص ص 131- 134.

ثم عمل على استقطاب القبائل و الزّعماء شمال شرق الصّحراء وامتد إلى تقرت و أقسام من وادي ميزاب وجبال عمور و أولاد نايل وزحف المجاهدون في السّنة التّالية على القبائل الموالية للفرنسيين في الأغواط و الجلفة وسيطروا على العديد منها و أخذوا مواشيها و دخلوا مدينة الأغواط في نوفمبر 1852م.[1]

وعندما أدرك الفرنسيون بخطورة حركته أخذوا يدبرون أمرهم و عينوا جنرالات كبار لمحاربته مثل: الجنرال راندون Randon[2] و بيليسي Bilisi[3]، وبدعم العديد من الخونة، و انقسموا في ثلاث فرق في كل من الجلفة و البيض وبسكرة، و في أكتوبر خاض بن عبد الله وجنوده معركة كبيرة في عين الرّق قرب "غدير مزي" ضد الفرنسيين وقتل لهم 200 رجل وغنم منهم 20 ألف رأس غنم و 2000 جمل فاستقبله سكان الأغواط بحفاوة بالغة بمثابة الفاتح.[4]

وبعد هزيمة فرنسا عملت على تكثيف قواتها وشنّت حملة ضخمة على الأغواط يوم 2 ديسمبر 1852م، وكانت بمنتهى الوحشية حيث قتلت حوالي 800 جزائري وجرح الشّريف محمد بن عبد الله و انسحب إلى ورقلة، وكان من ضمن المشتركين في الهجوم على الأغواط سي حمزة ولد سيدي الشّيخ، وقاموا باحتلالها بارتكاب أفضع الجرائم في حق سكانها، ثم تحالف بن ناصر بن شهرة[5] مع محمد بن عبد الله في الكفاح و خاضوا معارك عديدة بهدف إرجاع الأغواط، ثم دخلوا في مواجهة مع القوات الفرنسية في نقوسة شمالي ورقلة، التي انهزم

---

[1]- بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 129.

[2]- هو الحاكم العام الفرنسي للجزائر 1851-1858م، ويعرف عهده بعهد استكمال الاحتلال. ينظر: أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية**، المرجع السّابق، ص 371.

[3]- ولد في ماروم سنة 1794م، تدرج في الرتب العسكرية إلى أن صار عقيدا، وعين حاكما عاما للجزائر سنة 1860م، وتوفي سنة 1864م. ينظر: محمد سكال: المرجع السّابق، ص 56.

[4]- يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 155.

[5]- ينتمي إلى قبيلة الأرباع ومن أتباع الطريقة القادرية بالأغواط، ولد في سنة 1804م، وبدأت مقاومته للفرنسيين منذ سنة 1851م و اتصل بالشريف محمد بن عبد الله بورقلة و تعاون معه و استطاع في سنة 1852م أن يسيطرا على بلدة قصر الحيران قرب الأغواط و اتخذها مركزا لمقاومته. ينظر: علي غنابزية: **أدوار الكفاح المسلح في وادي سوف**، المرجع السّابق، ص 45.

فيها محمد بن عبد الله وجرح بن ناصر بن شهرة، مما دفع بهم إلى الانسحاب إلى منطقة نفطة بتونس. [1]

وفي سبتمبر 1854م عاد محمد بن عبد الله إلى الجزائر ليستأنف جهاده بمنطقة ورقلة و تقرت لكنه لم يصمد طويلا أمام الغزاة و أعوانهم الذين تغلبوا عليه في معركة" ماغارين"، وفي نوفمبر انسحب مرة ثانية إلى الجريد التّونسي لالتقاط أنفاسه بسبب مطاردة العملاء حتى عام 1858م، ثم رجع مرة أخرى إلى الجزائر ليجدد نشاطه حتى أسر من قبل زعيم أولاد سيدي الشّيخ الباشاغا سي بوبكر ولد حمزة في أواخر 1861م، وسلمه إلى الفرنسيين وتم سجنه بجنوب فرنسا ثم تم تحويله إلى عنابة تحت الإقامة الجبرية[2].

و رغم كل ما تعرض له محمد بن عبد الله تمكن من مغادرة عنابة و انضم إلى ثورة أولاد سيدي الشّيخ المندلعة عام 1864م ثم إلى ثورة المقراني و الحداد عام 1871م، و انسحب مرة ثالثة إلى تونس، وعندما تعرضت للاحتلال الفرنسي في سنة 1881م، غادرها إلى الحدود الشّرقية الجنوبية بجوار طرابلس لمدة، ثم رجع مع باقي المهاجرين إلى الجنوب التّونسي حتى وفاته سنة 1895م.[3]

وكغيرها من المقاومات تركت حركة المقاومة الثّورية التي قادها الشّريف محمد بن عبد الله في الصّحراء الجزائرية أثرًا كبيرًا على مستوى العديد من مناطق البلاد. ويمكن أن نلخص نتائج جهاده فيما يلي:

- التفاف الشّعب حول حركة المقاومة، فما من منطقة كان يحل بها بن عبد الله إلا ويجد تأييدا شعبيًا كبيرًا.

- إنهاك القوات الاستعمارية الفرنسية التي كانت تعتقد في كل مرّة أنها قضت على حركته، فإذا بها تتفاجئ أنّ هذه الحركة قد نبعت في منطقة أخرى.

[1] - يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق،ص ص 156 - 157.

[2] - بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 130.

[3] - نفسه.

- طول أمد حركة المقاومة مما يدل دلالة واضحة على قوتها و إستمراريتها في سبيل تحقيق أهدافها، ولم تنتهي إلاّ بنهاية زعيمها.[1]

وهكذا انتهت حياة البطل الشّريف محمد بن عبد الله، التي قضاها في كفاح المعتدين، حيث دامت حوالي نصف قرن وشملت الجزائر و تونس و طرابلس فكان من أهم رواد المقاومة في منطقة المغرب العربي، وكيف لا يكون بطل وقد دعمته الطريقة السّنوسية وغذته بأفكارها و مبادئها.

3- مقاومة أولاد سيدي الشّيخ[2] 1864-1881م.

جاءت مقاومة أولاد سيدي الشّيخ بسبب سياسة سوء فرض الضّريبة والتّحصيل التّعسفي للضرائب المفروضة على الأهالي وتجاوزات المكاتب العربية، حيث تعرض الأهالي للسلب. وكان الضّباط الذين استدعوا إلى الخدمة في إيطاليا أو في المكسيك مع أحسن الجيوش، غالبًا ما يستخلفون بالأغبياء وعديمي المهارة. ولقد أثارت عمليات تعيين القادة في القبائل التي لاينتمون إليها، احتجاجات عنيفة حيث أدان المستشارون العامون بلهجة شديدة.[3]

وبعد الحادثة التي وقعت بين سي الفضيل بن علي خوجة و أحد الصّبايحية خلال قيامهم بلعبة "الهف"، حدثت مشادات بينهم، فتعرض سي الفضيل للضرب من طرف الصّبايحية، وقادوه إلى مقر المكتب العربي فكان قرار الضّابط الفرنسي لصالح الصّبايحية، فاعتبر الباشاغا سي سليمان هذه الحادثة إهانة شخصية له ولعائلته كلّها، واستغلها كذريعة لإعلان ثورته، فغادر يوم 1 فيفري 1864م البيض مع التّخلي عن وظيفته ومعه عدد كبير من أفراد عائلته

---

[1]- دحدي سعود: " ثورة الشّريف محمد بن عبد الله في الصّحراء الجزائرية و مواجهة التّحدي الاستعماري الفرنسي 1842 – 1895م "، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية**، ع 1، المركز الجامعي بالوادي، جوان 2010م، ص ص 144 - 145.

[2]- تنحدر أسرة أولاد سيدي الشيخ، من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق، و قد هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة بالحجاز، إلى مدينة الإسكندرية بمصر، ومن هناك انتقلوا إلى تونس و استوطنوا بها بعض الوقت، ومن تونس انتقل البعض منهم إلى جرجرة وتنس وتلمسان وغيرها من المناطق.... للمزيد ينظر: يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20م، (ثورات القرن التّاسع عشر)**، ط خ، عالم المعارف للنشر والتّوزيع، الجزائر، ج1، 2009م، ص ص 168-171.

[3] - شارل أندري جوليان: **تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871م**، تر: المعهد العربي العالي للترجمة، د. ط، شركة دار الامة، الجزائر، مج1، 2013م، ص 701.

متجهين نحو الجنوب و اتخذوا قرار شنّ مقاومة مسلحة ضد الفرنسيين، ثم كتب رسالة وبلغها إلى كل القبائل والعروش والإخوان التّابعين لزاوية العائلة يدعوهم فيها إلى حمل السّلاح للجهاد في سبيل الله، شارحاً فيها الأسباب التي دفعتهم للثورة و استجابوا لندائه و أوفدوا إليه وشرعوا يوم 26 فيفري في استعمال العنف وقاموا بمناوشات ضد المعارضين لحركة المقاومة.[1]

وفي أفريل 1864م اندلعت المقاومة بالغارة على مخيم للجيش الفرنسي في هضبة عوينة بوبكر شرق البيض، مما أثار الارتباك في صفوف القوات الفرنسية، وتم مقتل الضّابط الفرنسي بوبريتر "Beaupretre"، الذي إرتكب العديد من الجرائم في منطقة القبائل لينتقل إلى الشّرق والجنوب والغرب لنفس الغرض لكنه قتل على يد أولاد سيدي الشّيخ في معركة "عوينة بوبكر"، كما قتل في المعركة القائد "سي سليمان".[2]

وبعد استشهاد سي سليمان بويع أخاه محمد زعيماً جديداً للمقاومة، ورغم صغر سنه استعان بعميه سي الزّبير وسي العلا، ولم يمضي أسبوعاً على هذه المعركة الحاسمة حتى تدعمت جبهة المجاهدين من مختلف الجهات، وعند شعور السّلطات الفرنسية بخطورة الوضع أعدت أربعة فرق عسكرية لمواجهة المقاومة، ورغم هذا التّجنيد الواسع للقوات الفرنسية، إلاّ أنّ المقاومة واصلت في تحقيق نجاحاتها و امتدت شرقاً وغرباً من ورقلة وسوف إلى الحدود المغربية، وقاد سي الأعلى عدّة هجمات على العديد من المناطق لإدخال الرّعب في صفوف الفرنسيين.[3]

وخلال شهر جويلية 1864م ظهر في ورقلة رجلان حاولا أن يستغلا الأحداث الجارية لصالحهم ولكن دون جدوى وهم: مولاي محمد، الذي قدم من الجريد التّونسي يوم 15 جويلية 1864م إلى ورقلة و ادعى للناس بأنه شريف مبعوث من السّلطان العثماني ليتزعم محاربة النّصارى المسيحيين، والثّاني يدعى الحاج محمد الغربي، الذي كان يقيم بالجريد التّونسي، وصل إلى ورقلة يوم 29 جويلية على أمل أن يقيم حركة مقاومة بها، إذ قام سي الأعلى وسي

---

[1]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20م**، المرجع السّابق، ص ص 178- 180.

[2]- بشير كاش الفرجي: **مختصر وقائع و أحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830-1962م)**، ط. خ، وزارة المجاهدين، د. ب، 2007م، ص 139.

[3] - عبد الله مقلاتي: **المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962م**، د. ط، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013م، ص ص 94-96.

محمد بشن هجوم ضدهم، مكونين قوة تقدر بحوالي ألفي رجل وهاجما مدينة " فرندة" لتأديب المعارضين، ثم انسحبا إلى "واد سوسلام" و" الهضاب العليا" جنوب مدينة الجزائر، الأمر الذي أوقع السّلطات الفرنسية في حرج كبير.[1]

وزادت رقعة المعركة اتساعاً في كل من مشرية والأغواط وسعيدة، حيث انظم إليهم الثّائر ناصر بن شهرة في ورقلة وقام الثّوار بمهاجمة الكتائب الفرنسية وتدمير مزارع المعمرين والمؤسسات الاقتصادية الفرنسية، وكرد فعل قام الجيش الفرنسي بتدمير القرى ومصادرة ممتلكات القبائل الثّورية، وفي 22 فيفري 1865م استشهد الزّعيم الثّاني للمقاومة "سي محمد بن حمزة" في معركة "سيدي الشّيخ" متأثراً بجروحه البليغة، وخلفه في القيادة أخوه "سي أحمد ولد حمزة"، ونظراً لصغر سنة تولى القيادة عمه "سي الأعلى وخاض الاثنان معارك ضد العدو من بينها معركة "حاسي بن الغاب" و "غار القيفور" عام 1866م، تكبد خلالها الطّرفان خسائر كبيرة، وفي شهر أكتوبر 1868م توفي القائد الثّالث للمقاومة بمرض الكوليرا، ليخلفه أخوه "سي قدور" في القيادة.[2]

وفي شهر جانفي 1869م عاد الثّوار لشن الهجوم داخل الجزائر، وهذا أعطى نفساً جديداً للمقاومة، حيث قاد "سي الأعلى" معارك قاسية في عين ماضي وخاض معركة "أم دبدب"، وعمل على تنسيق نشاطه مع الثّائرين ناصر بن شهرة والشّريف بوشوشة، وقامت فرنسا بتعيين "سليمان بن قدور" آغا على البيض، وكلفته بمحاصرة زعيم المقاومة سي قدور بن حمزة في واد غير[3]، وبالجنوب الغربي قام "الأعلى بن بو بكر بن حمزة" معركة "واد فوليلة" في 13 مارس 1871م، ثم قام في سبتمبر من نفس السّنة بمعركة "حامية الوطيس" ضد القوات الفرنسية التي أجبرته على الانسحاب إلى منطقة السّاورة حيث ظل مختفياً فيها حتى وفاته.[4]

وبعد سنة 1873م هدأت الأوضاع ولم يشن ثوار أولاد سيدي الشّيخ سوى بعض المناوشات ضد المعارضين، وواجه سي قدور خلافاً حاداً سنة 1878م، مع ابن أخيه "حمزة

---

[1]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20م**، المرجع السّابق، ص ص 188-189.

[2]- عمار عمورة: **الجزائر بوابة التّاريخ، ماقبل التّاريخ إلى 1962م، الجزائر عامة**، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2009م، ص 290.

[3] - عبد الله مقلاتي: المرجع السّابق، ص ص 97-98.

[4] - عبد الوهاب خليف: المرجع السّابق، ص 48.

ولد بوبكر" الزّعيم الدّيني لزاوية أولاد سيدي الشّيخ والذي مال لمسالمة السّلطات الفرنسية و أدت سنوات الحرب الطويلة والانشقاقات التي حدثت داخل أسرة أولاد سيدي الشيخ إلى خمود نشاط الثّوار.[1]

ولقد خلفت مقاومة أولاد سيدي الشيخ نتائج و انعكاسات كبرى نذكر منها:

- إنّ المقاومة التي امتدت ما يقارب السّتة عشر عاماً أقلقت الإدارة الفرنسية وألحقت خسائر كبيرة بجيوشها العسكرية.

- لقد أدّت الخلافات والمصالح الشّخصية إلى حدوث عدة انشقاقات بين أفراد أسرة أولاد سيدي الشّيخ.

- توزع زعماء أولاد سيدي الشّيخ مع فتور المقاومة على مختلف المناطق: السّاورة والمنيعة وقورارة والمغرب...إلخ وقد تدخلت الإدارة الفرنسية لتفرض توزيعهم على مختلف المقاطعات بشرق البلاد وغربها.

- ارتبطت مقاومة أولاد سيدي الشّيخ بروابط وثيقة مع زعماء المقاومات الشّعبية، وبخاصة مع ابن ناصر بن شهرة، والشّريف بوشوشة، وسي لزرق بلحاج، والمقراني...الخ.[2]

4- مقاومة محمد بن التّومي بوشوشة [3] 1869-1875م.

قاد بوشوشة حركة ثورية سنة 1869، بعد فراره من السّجن في 1863 الذي زج فيه بتاريخ 22 ديسمبر 1862 بتهمة السّرقة بمعسكر و اته إلى " فجيج " بالحدود المغربية و من هناك إلى التوات وعمل على جمع الأنصار و الأتباع حوله تحضيرًا لحركة يقودها

---

[1]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20م**، المرجع السّابق، ص ص 212-215.

[2]- عبد الله مقلاتي: المرجع السّابق، ص ص99-100.

[3] - هو محمد بن التومي بن إبراهيم الملقب ببوشوشة، ولد ببلدة الغيشة ومارس مهمة رعي الغنم وتعلم الفروسية و الشجاعة من أجداده، تزوج من عائلة أولاد سيدي الشيخ، وفي سنة 1862م القي عليه القبض، وفر في السنة الموالية ودخل غمار التحضير للجهاد. ينظر: حسين تواتي: " بن ناصر بن شهرة و الشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية و الروح الوطنية ، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، ع4، المركز الجامعي بالوادي، ديسمبر 2014م، ص 40.

بنفسه[1]، و ذلك عندما اتصل به بن ناصر بن شهرة وشرع في تنسيق الجهود، و استطاع مابين سنتي 1870-1871م أن يسيطر على عدة مناطق في الصّحراء بعد هزيمة الحكام المحليين الموالين للاستعمار، وتم تنصيب آغوات (قياد)، من الثّوار أنفسهم. ففي مارس 1870م استولى بوشوشة على المنيعة و ألقى القبض على القائد جعفر وسجنه واستولى على عين صالح في ماي 1870م، وتواصلت تحركاته في ضواحي متليلي المزابية وورقلة وتقرت وسوف، وخاصة بعد انطلاق ثورة المقراني التي ارتبطت بمقاومة الجنوب ارتباطًا وثيقًا.[2]

عندما استولى بوشوشة على مدينة متليلي في 5 ماي 1870م، ليصبح قائدًا للمقاومة الجزائرية في الجهة الجنوبية للصحراء. خاض العديد من المعارك ومن أهمها:

- معركة ورقلة في 5 مارس 1871م، حيث إستولى عليها وقام بتعيين بن ناصر بن شهرة آغا عليها، وكانت ورقلة قبل ذلك تابعة لآغوية علي باي الذي كان آنذاك في حاسي النّاقة، فاتصل جماعة من شعانبة الوادي ببوشوشة وذكروا له أفعال علي باي و ظلمه و طلبوا منه أن يغتنم الفرصة ليستولي على أموال علي باي و عياله وكل زمالته التي أودعها ببلدة قمار بوادي سوف.

- هجوم بوشوشة على قمار يوم 8 مارس 1871م، بجيش قوامه 900 مقاتل إلاّ أنّ عائلة علي باي وجدت المساندة و الحماية من زاوية قمار التّجانية، و بعد مفاوضات من أعيان الوادي رجع بوشوشة وسلمت زمالة علي باي، ولكن آغويته لم تسلم من سطوة بوشوشة.[3] استيلاء بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871م، وعين في 21 ماي" بوشمال بن قوبي" آغا عليها، وبالتالي سقوط حكم علي باي ودخلت منطقة سوف التّابعة لتقرت تحت حكم بوشوشة[4].

ولما علم علي باي بأحداث تقرت اتجه إلى بسكرة و حاول الاحتجاج لدى الحاكم الفرنسي ضد أولاد بن قانة الذين اتهمهم بمساعدتهم لبوشوشة على غزو ورقلة و تقرت، لكن الحاكم الفرنسي اتهمه بالتّقصير و تواعده بتقديمه للعدالة حينها توجه علي باي إلى تقرت

[1] - يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 219.

[2] - علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية**، المرجع السّابق، ص 44.

[3] - نفس المرجع، ص 45.

[4] - يحي بو عزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 221.

وفرض عليها حصار و هاجمها يوم 8 جويلية و دخل في معارك مع بوشوشة انتهت بانسحاب علي باي منهزمًا إلى بسكرة يوم 13 جويلية، وقام بوشوشة بإرسال جيش تحت قيادة بن ناصر بن شهرة، حيث تمكنوا من الاستيلاء على قطعان جنوب أولاد جلال، ولم يكاد يوم 13 جويلية 1871م ينجلي إلاّ و أصبح بوشوشة المسيطر في الصّحراء الجنوبية من نفطة إلى تقرت بمساعدة القوى الشعبية المختلفة.[1]

ومع مجئ سنة 1872م وصل الجنرال "دولا كروا" Delacroix "[2] إلى ورقلة و انتزعها من أنصار بوشوشة، ثم زحف إلى تقرت وسيطر عليها.[3]

وفي يوم 9 جانفي دخل الثّوار في معركة مع القوات الفرنسية و استولى الفرنسيون على معظم زمالة بوشوشة بما فيها من الأغنام و الجمال و الخيام...إلخ، وتم قتل عدد كبير من الثّوار من بينهم أحد أحفاد بن ناصر بن شهرة و ألقي القبض على اثنين من كبار المقرانيين.[4]

وبعد هذه الهزيمة تفرّقت أغلب قوات الشّريف بوشوشة على العديد من النواحي، أمّا بوشوشة عاد إلى مواصلة المقاومة بعد استجماع قواه، حيث ظهر في جويلية 1873م بين البيض و الأغواط، ثم في المنيعة محاولاً استرجاع ورقلة و لكنه فشل أمام قوات السّعيد بن إدريس[5] و حاول العودة إلى النّشاط من جديد انطلاقًا من عين صالح في مارس 1874م لكنه انهزم في معركة "ملوك"، وأسر من طرف القائد المعراج بن قدور ونقل إلى قسنطينة[6] وسجن

---

[1]- علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية**، المرجع السّابق، ص 45.

[2]- القائد العام لقطاع قسنطينة خلال السبعينات، و أحد الضباط الفرنسيين الذين احتلو بعض الواحات في جنوب شرق الجزائر، و كان له دور كبير في مطاردة أولاد مقران إلى الصحراء.ينظر: رضوان شافو: " الحملة العسكرية الفرنسية على منطقة وادي ريغ و ردود الفعل الشعبية 1854 – 1875م "، **مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية**، ع 14، جامعة ورقلة، مارس 2014م، ص 114.

[3]- حسين تواتي: المرجع السّابق، ص 41.

[4]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 224.

[5]- هو أخ آغا ورقلة. ينظر: حسين تواتي، المرجع السّابق، ص 41.

[6]- نفسه.

لعدة شهور، ثم قدّم إلى المحاكمة وصدر ضده الحكم بالإعدام ونفذ يوم 29 جوان 1875م، بمعسكر الزّيتون بضواحي مدينة قسنطينة.[1]

5- مقاومة الأوراس 1879 م .

اندلعت شرارة الثّورة بمنطقة جبال الأوراس الغربية، أواخر شهر ماي 1879م بزعامة الشّيخ محمد أمزيان بن عبد الرّحمان،[2] و سكان أولاد داود في دائرة باتنة وبني بوسليمان في دائرة بسكرة، حيث كانت المنطقة تعيش في فوضى سياسية عارمة من خلال اشتداد النّظام العسكري، وضباط المكاتب العربية، حيث مارسوا على السّكان معاملة سيئة و قاموا بقهرهم وإذلالهم و إحتقارهم بشتى الوسائل، لأنهم كانوا يعتبرون أنّ السّكان بدو متخلفون لا يفهمون للحياة معنى، وكانت طبيعتهم الاجتماعية في دوامة من الصّراعات و الخصومات الحادة بين عائلة ابن قانة، وعائلة ابن شنوف المنحدرة من عائلة بوعكاز بهدف السّيطرة والنّفوذ السّياسي و القبلي، كما تدهورت الحالة الاقتصادية للسكان في منطقة الأوراس، حيث كانوا يعانون أوضاع سيئة وحادة واشتد بهم القحط والجفاف وقلة الإنتاج الحيواني والفلاحي، وزيادة على هذا تشدد جباية الضّرائب ضدّهم وأرهقوا بمستلزمات القواد وتسلط الآغوات الإقطاعيين، مما أدى إلى تمرد السّكان في خريف 1879م[3].

بينما كان الشّيخ محمد أمزيان يقوم بالتّنقل والزيارات المتعددة لزاوية سيدي الصّادق لدراسة الأوضاع السّائدة آنذاك حيث لم يكن مرتاحا للأوضاع في المنطقة وبدأت بوادر الغضب والتّذمر تظهر في مطلع عام 1879م، حين أعتقل القائد بوضياف عدد من زعماء أولاد داود كرهائن لديه وذلك بتهمة عملهم على تحطيم نفوذه ومركزه و إدارته، وهو بمثابة العون للفرنسيين ضد أحمد أمزيان.[4]

---

[1]- يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر خلال القرنين التّاسع عشر و العشرين**، المرجع السّابق، ص 226.

[2]- هو محمد بن محمد الصّالح بن عبد الرّحمان، من قرية جار الله، من عرش بني بوسليمان، ولد حوالى 1849م، وهو من إخوان زاوية تبرماسين الرّحمانية، اشتغل بتدريس القرآن الكريم و الإمامة في مسجد سيدي عيسى بوقبرين بقرية جار الله، ثمّ التحق بقرية الحمام بأولاد داود طالبا للقرآن و الإمامة بمسجدها سنة 1877م تقريبا، و كان له تأثير كبير في محيطه. ينظر: عبد الحميد زوزو: **ثورة الأوراس سنة 1879م**، د. ط، م. و. ك، الجزائر، 1986م، ص 62.

[3]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص ص 279 - 280.

[4]- نفس المرجع، ص ص 281- 282.

وفي شهر ماي وصلت رسالة إلى القائد محمد الهاشمي بن بوضياف من أبيه - كلاهما كان عونًا للفرنسيين - يخبره فيها بأن محمد أمزيان قد قدم إلى قرية الحمام ليعلن هناك الجهاد الدّيني المقدس، وقام القائد الهاشمي بتكليف عدد من الأعوان بالذهاب إليه واعتقاله يوم 29 ماي ولكن سكان القرية هاجموهم وطردوهم، غير أن القائد الهاشمي لم يقف عند هذا و جدد الكرّة مرة أخرى وأرسل كاتبه على رأس عدد آخر من الأعوان فتعرضوا لما تعرض له سابقيهم، و كان هذا الحادث بداية لاندلاع أحداث العنف و الثّورة، فاتجه على إثرها محمد أمزيان و رفقائه إلى قرية العنصر، لاعتراض طريق القائد الهاشمي الذي كان يحاول اعتقاله و لكن القائد فرّ و انسحب إلى قرية الرّبعة أين كان أبوه في انتظاره .[1]

و في 31 ماي1879م توجه الثّوار صوب برج تكوت، - أين يقيم قائد بني بوسليمان- و هاجموا سي مصطفى بشتارزي و قاموا بقتله و حزوا رأسه و رجعوا إلى العناصر من جديد بعدد أكبر لخوض معركة ضد مجموعة من القياد، وقد وصلوا جميعًا إلى العناصر و تجمعوا به استعدادا لمواجهة الثّوار في يوم 1جوان، ولكنهم فوجؤا بهجوم ليلي قتل فيه القائد بوضياف و جندي فرنسي و إصابة أعداد أخرى بجروح و أسر كاتب القائد الهاشمي، وفي ليلتي 5 و 6 جوان هاجم الثوار برج القائد "محمد بن عباس" مقدم الطريقة القادرية بوادي عبيدي، فأحرقوه و خربوه لأن غضب النّاس كان شديدًا ضد الفرنسيين و أعوانهم جميعًا.[2]

و في يومي 8 و 9 جوان تجمع حوالى 2000 رجل ثائر مسلح و أحرقوا رحا القائد بوضياف بقرية وادي طوب قرب قرية الرّبعة، و هاجموا المعسكر الفرنسي الذي يعسكر فيه الضّابط كوربي corbe على رأس عدد من القوم و القناصلة و الصّبايحية و الرّماة، و كانت نتيجة المعركة مقتل 5 و جرح 6 من القوات الفرنسية و مقتل عدد آخر من الثّوار .[3]

و في 15 جوان دخل الجيش الفرنسي إلى قرية توبة عند جبل عشر دام 3 ساعات، و التقوا بالثّوار و دخلوا في معركة، و كانت نتيجتها أيضا لصالح الفرنسيين بسبب تفوقهم في السّلاح و العدد .[4]

---

[1]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص282.

[2]- عبد الحميد زوزو: المرجع السّابق، ص ص 42- 43.

[3]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص 283.

[4]- عبد الحميد زوزو: المرجع السّابق، ص 48.

نظراً لخطورة المقاومة وتطورها، اهتمت القيادة الفرنسية بأمرها فما كان على حاكم مقاطعة قسنطينة إلاّ أن كلّف الجنرال فورجيمول دو بوسكينار Forgemol De Bostkuenard، الذي بعث ثلاثة فرق عسكرية من أماكن مختلفة، وتوجه إلى معسكر العناصر بالأوراس لمحاصرة الثّوار و التّضييق عليهم، و حصار الحركة حتي لا تنتشر إلى جهات اخرى. ففي 1 جوان تم تجهيز قوات الهجوم على رجال المقاومة بالأوراس، وتمثلت التجهيزات في:

- الأولى تجهز من مدينة باتنة بقيادة الجنرال لوجرو Logrot .
- الثانية تجهز من بسكرة بقيادة الكولونيل كاجار Gajard .
- الثالثة تجهز من خنشلة بقيادة الكولونيل قوم Gaume .

و أعطيت أوامر إلى عدد من المسؤولين في العديد من الجهات، ليعدوا قوات اخرى و يعجلوا بإرسالها إلى المنطقة، و هذا يدل على خطورة الأمر و قوة المقاومين .

و في 12 جوان أمر الجنرال فورجيمول بعملية الزّحف إلى الأوراس، فانطلقت قافلة الجنرال لوجرو إلى مضيق "فم الطّوب"، فتعرضت لهجوم الثّوار يوم 15 جوان، وفي نفس الوقت كانت قافلة الكولونيل كاجار تمر بمشونش إلى الواد الأبيض و خاضت أوّل معركة مع الثّوار، و أخيرًا عسكرت في تيزي أو قارين .[1]

وعندما كان الفرنسيون يستعدون للهجوم، إتجه زعيم الثّورة محمد أمزيان و رفقائه إلى زاوية سيدي فتح الله، و ذلك من أجل دراسة الوضع و لكن الفرنسيين لم يتركوا لهم الفرصة للاستعداد و تقدمت قوات كاجار نحو الزّاوية و هاجموا الثّوار يوم 19 جوان، و قتلوا منهم حوالى 80 شخص و جرحوا عدد آخر و أسروا 40 شخص، و في يوم 24 جوان هاجم الثوار قافلة فرنسيه كانت في طريقها إلى معسكر كاجار و أسر الفرنسيون خلالها 3 رجال ينتمون إلى أولاد داود.[2]

و نظرًا لعدم تكافؤ القوة، انسحب الثّوار واتجهوا إلى الصّحراء ومن هناك دخلوا جنوب تونس. لكن الباي التّونسي ألقي عليهم القبض وسلمهم إلى السّلطات الفرنسية التي أنشأت مجلساً عسكرياً وحكمت على 14 من قادة المقاومة بالإعدام و26 بالأشغال الشّاقة و 16

[1]- محمد العيد مطمر: "الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس وأثرها على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة 1844-1884م"، **مجلة العلوم الانسانية**، ع 10، جامعة محمد خيضر، بسكرة، نوفمبر 2006م، ص ص 94 - 95.

[2]- يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المرجع السّابق، ص 285.

بالبراءة. إلاّ أنّ رئيس فرنسا تدخل يوم 9 نوفمبر 1880م وخفف الاحكام الخاصة بالإعدام إلى الاشغال الشّاقة.[1]

وكعادة السّلطات الفرنسية فإنها طبقت حكومات رادعة جائرة ضد السّكان(خاصة اللحالحة)، فصادرت الأملاك بصورة جماعية،[2] وهذا ما دفعهم بالفرار إلى تونس،[3] وقتل أكثر من 562 جزائري في إطار إبادة جماعية منظمة ضد القبائل الثّائرة بالمنطقة، وفرضت عليهم ضرائب حربية قدرت بـ 20 مرة على الضّرائب العادية على قبائل أولاد داود و بني بوسليمان، ومصادرة اكثر من 2777 هكتار من الأراضي الخصبة، بغض النّظر عن سرقة أغنامهم و إبلهم، وأسرت العائلات كرهائن لإضعاف رجال المقاومة، وأصدرت أحكام جائرة في حق قادة الثّورة تتراوح بين الإعدام و الأعمال الشّاقة و المؤبدة و الإقامة الجبرية و السّجن العادي مابين عامين إلى 5 أعوام .[4]

و من خلال ما ذكرناه حول مقاومة الأوراس و كل ما يتعلق بها من أسباب اندلاعها، وخططها و نتائجها، فإن ثورة 1879م كانت تعبيرًا عن غضب الشّعب من السّيطرة الاستعمارية و سلطتها على جميع جوانب حياتهم منها السّياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدّينية...، كما كانت الظّروف الاقتصادية دورا هاما في خلق الاستعداد للثّورة. وما إن امتدت يد السّلطة للمساس بحريتهم الدّينية حتى وجدوا أنفسهم تلقائيا في قلب الثّورة تحت قيادة الطّريقة الرّحمانية التي تجد نشاطها الكفاحي في شخص مقدمها محمّد بن عبد الرّحمان الذي يهدف إلى وضع حد لتلك السّيطرة مهما كانت النتائج.

خلاصة الفصل

و من خلال ما ذكرناه حول المقاومات وكل مايتعلق بها من أسباب و أحداث و نتائج توصلنا الى عدة استنتاجات نوجز بعضها فيما يلي:

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السّابق، ص ص 149 - 150.

[2]- محمد العيد مطمر: المرجع السّابق، ص 95.

[3]- للمزيد ينظر الملحق رقم 2، ص 103.

[4]- بوعزة بو ضرساية: **الجرائم الفرنسية و الإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن19م** ، المرجع السّابق، ص ص 145 - 146.

- صعوبة الطّبيعة الجغرافية و التضارسية، وهذا راجع إلى كثرة الجبال و إلتواءاتها خاصة في الشّرق القسنطيني، أمّا عن الغرب الوهراني فيمتاز باتساع الهضاب العليا و صعوبة اختراقها.

- ظهور الأعمال البطولية التي قام بها كل من الحاج أحمد باي و الأمير عبد القادر التي دامت قرابة العقدين في شرق البلاد و غربها.

- حدّة المقاومة التي قام بها الشّعب الجزائري في جل أنحاء البلاد، حيث دامت هذه الأعمال الثّورية 70 عاما تقريبا.

- انتشار المقاومة في مختلف أنحاء البلاد و تصدّي كل الشّعب لها إذ تحولت جميع المناطق إلى معاقل للكفاح المسلح طوال 70 عاما.

- بروز زعماء بذلوا قصارى جهدهم لقيادة السّكان إلى الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي دون أن يبخلوا في تقديم أي تضحية مهما كلفتهم.

- ظهور أحمد بوزيان و ابنه في واحة الزّعاطشة جنوب غرب بسكرة، حيث قاموا بثورة عارمة ضد القوات الاستعمارية رغم اختلاف العدة و العتاد بينهم إلاّ أنهم قاوموا أكثر من 50 يوما داخل الواحة المعزولة و ألحقوا بقوات الاحتلال خسائر مادية و بشرية

- في مطلع الخمسينات و الستينات برز كل من الشريف بن عبد الله و أسرة أولاد سيدي الشّيخ و الشّريف بوشوشة و خاضوا معارك مسلحة ضد الجيوش الفرنسية و تعاون معهم الثّائر بن ناصر بن شهرة و أثاروا كل سكان الواحات الصّحراوية.

- اندلاع ثورة سكان الزّواغة و فرجيوة بجبال البابور بقيادة أسرتي أولاد بن عز الدّين في الزّواغة و أسرة بن عاشور في فرجيوة.

- هدوء العمل المسّلح الذّي اعتمده الشّعب الجزائري منذ تعرضه للاحتلال الفرنسي سنة 1830م فترة زمنية حتي اندلاع مقاومة جبال الأوراس الغربية عام 1879م بزعامة قائدها الشيخ المقدم الرّحماني محمد أمزيان.

- كثرة الأحداث و الصّراعات في المقاومة بالنسبة للعقدين الأولين، أدت إلى ضعف وتراجع روح المقاومة شيئاً فشيئاً بسبب الضّغوط الاستعمارية مادياً و بشرياً.قلة الخبرة لدى زعماء المقاومة و عدم اكتفاءهم بالأسلحة مقارنة بعدوهم.

- أدى القادة و الشّيوخ الدّينيون دورا فعالا في المقاومة حيث يندمجون فيها دون تردد و من بينهم الشّيخ الدرقاوي بوزيان و القادري محمد بن عبد الله في تقرت و الشّيخ الرحماني محمد مزيان والقادري الأمير عبد القادر.

- ارتباط المقاومة الجزائرية في القرن 19 بأسماء زعماء عائلات أرستقراطية في مجملها، غير أن أصحاب الطّبقة الكادحة بكل فئاتهم لعبوا دوراً كبيراً و لم تكن لهم مصالح ليدافعوا عليها عندما حملوا السّلاح فكان الهدف الوحيد من ثورتهم هو الحفاظ على الوازع الوطني الممزوج بالوازع الدّيني لأن الدّين و الوطنية شيئاً واحد لديهم.

وهكذا كانت الجزائر بمساحتها الواسعة فضاءً لعدد كبير من الثّورات التي دامت ما يزيد عن السّبعين عاماً.

الفصل الثاني

أوضاع تونس و صدى المقاومات الشعبية الجزائرية فيها 1881–1830

أولاً: أوضاع تونس خلال القرن 19م.

1- سياسياً.

2- عسكرياً.

3- اقتصادياً.

4- اجتماعياً.

5- ثقافياً ودينياً.

ثانياً: الموقف التّونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1- الموقف الرّسمي.

2- الموقف الشّعبي.

ثالثاً: لجوء المقاومين الجزائريين إلى تونس و نشاطهم فيها.

1 - ظروف الالتحاق بتونس.

2- دور تونس كقاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية.

رابعاً: السّياسة الفرنسية لقمع حركة الثّوار (بين الجزائر و تونس).

1- ترسيم الحدود و تقييد حركة التّواصل.

2- تقنين الحركة التّجارية.

3- ملاحقة المقاومين الجزائريين على الأراضي التّونسية.

4- إنشاء الأبراج و الثّكنات العسكرية للتّفتيش و المراقبة.

5- الضّغط على الحكومة التّونسية للتّضيق على التّونسيين المساندين.

خامساً: موقف الجزائريين من احتلال فرنسا لتونس عام 1881م.

خلاصة الفصل.

أولاً : أوضاع تونس خلال القرن 19 م .

كانت تونس في القرن 19م لا تختلف أوضاعها عن أيّ دولة عربية في جميع نواحي حياتها السّياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثّقافية.

1- سياسياُ:

كانت الحالة السّياسية و الإدارية في فوضى، و ليس ثمة من يحاسب أو يعاقب، لأنّ البايات كانوا هم المشجعين على هذه الفوضى بسلوكهم السّياسي و الإداري حيث كانوا يعقدون اتفاقات بالتّراضي مع قبائل البدو العاصية و المستعصية في الصّحراء، فقضت بإطلاق يد هؤلاء في الأماكن البعيدة عن العاصمة، و كان البدو يعيثون فسادًا في تلك الأماكن التي لا تطالها يد الدّولة، ولم تكن قوات الباي تتحرك لمواجهة البدو إلاّ عندما يحسوا بالخطر أو على مقربة من العاصمة تونس.[1]

و أصبحت تونس مركز تجاذب بين قوتين أساسيتين أوروبا من جهة متمثلة في فرنسا والدّولة العثمانية من جهة أخرى، فكل واحدة منهما كانت تسعى لإفتكاكها من الأخرى، مما أدى إلى تراجع مشاريع الإصلاح و التّحديث في تونس التي سعى إليها حمودة باشا الحسيني[2] من قبل، و تجددت مع الباي أحمد[3] في السّنوات الممتدة ما بين1837-1855م.[4] الذي كان حريصًا على إدخال إصلاحات واسعة النطاق في جميع النّواحي، حيث سمحت له الزّيارة التي قام بها إلى أوروبا سنة 1846م، بالإطّلاع على تقدم المدنية الحديثة و الاقتناع بإدخال انقلاب جديد في حياة الشّعب و بمجرد عودته إلى تونس وضع مشروعات هذا التّغيير الذي كان يهدف لتدعيم أركان دولته و تنظيمها على أساس جديد يضمن لها التّقدم و الرّقي ويحفظها من اعتداء الدّول عليها و كان أبرز ما قام به من مشروعات:

---

[1]- سمير أبو حمدان: **خير الدّين التّونسي، موسوعة عصر النهضة**، د. ط، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1993م، ص 19.

[2]- ولد في 8 ديسمبر 1759م، حفظ ماتيسر من القرآن الكريم، و تعلم اللّغة التّركية، بويع في 9 فيفري 1777م. ينظر:أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، د. ع. ك، نونس، مج2، ج3، 1999م، ص11.

[3]- ولد في 2 ديسمبر 1806م، حفظ القرآن الكريم و تعلم اللغتين التّركية و الإيطالية، و تولى حكم تونس بعد وفاة أبيه في 10أكتوبر1837م. ينظر: أحمد بن أبي الضياف: المصدر السّابق، مج2، ج4، ص11.

[4]- سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص 21.

- تنظيم الجيش على الأساليب الحديثة.
- إنشاء مدرسة حربية جلب إليها الأساتذة من أوروبا.
- أحدث مصانع و دار صناعة السّفن و كوَن أسطول بحري.[1]

و قد سار على منواله "محمد باشا"[2] الذي ارتقى بعرش تونس عام 1855م وقام بإصدار دستور حديث للدّولة التّونسية سماه "عهد الأمان"[3] في 10 سبتمبر 1858م، وهو أول دستور في العالم الإسلامي.[4]

وكان ذلك بمثابة انتصار باهر للحركة الإصلاحية، وبعد وفاة محمد باشا سنة 1860م تولى بعده أخوه محمد الصّادق باي[5]، وبدأت الإنجازات تتحقق في عهده فمد خط البرق بين تونس وأوروبا عن طريق الجزائر، و أسّس المطبعة الرّسمية و جريدة " الرّائد التّونسي "[6] و كوّن المجلس التّشريعي و المجالس البلدية سنة 1861م، و أصبح خير الدّين التّونسي[1] المصلح الذي يقود هذا الطّور من حياة تونس. و عقب الإصلاحات ذهب البـــــــــــاي

---

[1] – الحبيب ثامر: **هذه تونس**، د. ط، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرّسالة، د. ب، 1948، ص 23.

[2] – ولد في 1811م، حفظ شيئا من القرآن، و تدرب في الفروسية و الرّماية، اهتم بخدمة الدّولة العلية من العساكر التّونسية ، و كان سفير للدولة العلية. أحمد بن أبي الضّياف: المصدر السّابق، مج2، ج3، ص ص 185-188.

[3] – ينص على المساواة في الحقوق، و يكفل باحترام الأشخاص. حسن حسينى عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية الشّرقية، تونس، د. س، ص 174.

[4] – الحبيب ثامر: المرجع السّابق، ص 23.

[5] – هو محمد الصّادق بن حسين بن محمود باي، من مواليد 7 فيفري 1813م، ورث الحكم عن اخيه في 23 ديسمبر 1859م ودام حطمه 22 سنة كاملة، وهو أول من أعلن عن أول دستور للبلاد في سنة 1861م وحاول أن يحسن من الوضع المالي لتونس كما شهد عهده ظهور ثورة علي بن غذاهم سنة 1864م، و فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م بعد توقيعه على معاهدة باردو، وتوفي في 28 أكتوبر 1882م. الشّيباني بنبلغيث: **الجيش التّونسي في عهد الصّادق باي (1859-1882م)**، تق: عبد الجليل التميمي، د. ط، م. ت. ب. ع. م، صفاقس، 1995م، ص81.

[6]– هي أول جريدة عربية بتونس، أول ماظهرت سنة 1860م في نطاق حكومي، برزت أسبوعية في أربعة صحائف و أحياناً تصدر بدون إنتظام، وصدر أول عدد لها في جويلية 1860م، وكانت تنشر الأخبار والأحداث الخارجية خصوصاً مايحدث في البلاد التّركية (العثمانية آنذاك)، وتنشر بعض الفصول الأدبية وحتى القصائد الشّعرية، وهذا يعد قسم غير رسمي، وكانت تتلقى الأنباء من الوزارة الكبرى، وبها قسم رسمي تنشر به أوامر وقرارات الحكومة وكل ماتريد إبلاغه للشعب، فكانت جريدة رسمية حكومية وعمومية شعبية في آن واحد، وإستمرت في الصدور إلى أن أصيبت البلاد بانتصاب الحماية الفرنسية فغيرت منهجها و أصبحت تنشر في أوامر الحكومة ومقرراتها، وكذلك تنشر الإعلانات الشّرعية ومايماثلها. ينظر: عمر بن قفصية: **أضواء على تاريخ الصّحافة التّونسية 1860-1970م**، د. ط، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، د. س، ص ص 6 – 7.

إلى الجزائر لملاقاة المللك الفرنسي نابليون الثالث ليخبره بالإصلاحات و سلّمه نسخة من دستور تونس (عهد الأمان).[2]

و اصطدم العهد الدّستوري بصعوبات داخلية و خارجية قامت في وجهه فأدت إلى تأجيج نار حركة علي بن غذاهم في ربيع سنة 1864م. التي قامت بها عدة قبائل[3] حتى عمّت البلاد بالخراب و الدّمار و الفوضى أدت إلى تعطيل الدّستور و توقيف عمل المجالس البلدية ودخلت البلاد في حرب أهلية سببت المجاعة و الأمراض الخطيرة لمدة 6 سنوات كاملة. و التي كانت ذريعة ملائمة للتّدخل الأجنبي في تونس و الإنقاص من استقلالها حيث وضعت أموال الدولة تحت الرّقابة الأجنبية تحت إشراف لجنة دولية و كان ذلك سنة 1869م، و كانت هذه السّنة أيضًا سنة تولي خير الدّين باشا رئاسة الحكومة و بدأ في تطبيق البرامج الإصلاحية، و في سنة 1877م أجبر على الاستقالة نتيجة للمطامع الاستعمارية.[4]

و بعدما استتب الأمر لفرنسا في الجزائر سعت إلى توسيع احتلالها نحو الشّرق، وتذرّعت الحكومة الفرنسية بضرورة حماية الحدود الجزائرية لتبرير تدخلها في تونس مدعية أن هذه الحدود تتعرض لهجومات القبائل التّونسية و بالخصوص قبائل بني خمير.[5] و في 30 مارس 1881م وقع اشتباك بين القوّات الفرنسية و القبائل التّونسية و هو ماأعطى

---

[1]– ولد عام 1810م، وزير ومؤرخ من رجال الإصلاح في تونس له مجهود في إعلان الدّستور التّونسي، بعد إبعاده عن منصب الوزارة انتقل إلى الأستانة في عهد السّلطان عبد المجيد الذي ولاّه الصدارة العظمى(رئاسة الوزارة)، توفي بالاستانة عام 1890م. فارس العيد: **علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى و تونس (1848–1930م)**، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة وهران 1– أحمد بن بلة–، 2016–2017م، ص 33.

[2] – الحبيب ثامر: المرجع السّابق، ص24.

[3]– جان غانياج: **ثورة علي بن غذاهم 1864م**، تر: لجنة من كتابة الدّولة للشؤون الثّقافية، د. ط، د. ت. ن. و ت، تونس، 1965م، ص 11.

[4]– الطّاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التّونسية – رؤية شعبية قومية جديدة – 1830– 1956م**، ط2، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 1990م، ص ص 21–23.

[5]– حادثة اغتيال مواطن من أولاد سدة من قبيلة خمير في شهر فيفري1881م، إثر صحبة فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة. ينظر:علي المحجوبي: **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع، عمر بن ضو و آخرون، د. ط، سراس للنشر، تونس، 1986 م، ص 40.

حجة للتّدخل العسكري لمعاقبة المعتدين، و نتج عنه توقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881م[1] و فرض الحماية الفرنسية على تونس.[2]

2- عسكرياُ:

بدأت بوادر الإصلاح العسكري بتونس تظهر منذ أوائل القرن التّاسع عشر ميلادي، من أجل الحفاظ على استقلالها خاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، و تم إنشاء جيش تونسي نظامي عصري وقوي يمكن الاعتماد عليه لحماية البلاد من الغزوات الخارجية، وظهرت نواة الجيش النّظامي منذ سنة 1831م.[3]

بعد أن طلب حسين باي[4] خبرات عسكرية أوروبية للقيام بذلك، و عند تولي أحمد باي الحكم كان متحمساً لتطوير هذا الجيش النّظامي الجديد باعتماد أحدث الطّرق الغربية، وقام بإحداث تغيرات على المظاهر العسكرية حيث يقول هاينيريش بارت "Heinrich Barth ": ((يالقبح مشهد الكيان العسكري الذي أخذ ينمو هنا بتزايد ملحوظ والذي خلع لباسه البديع وغدى يتصنع الحضارة الاوروبية...))،[5] كما قام بإبرام عشرات العقود مع ضبّاط كبار

---

[1]- تقضي هذه المعاهدة بإعتراف فرنسا بسيادة الباي الشكلية على البلاد التونسية، و لكنها قيدت سلطاته في الميدان المالي و أصبحت تقوم مقامه في كل ما يتصل بعلاقاته مع الخارج. و إنتزعت من الباي حق إبرام المعاهدات و التفاوض إلاّ بعد أن =تطلع عليها الحكومة الفرنسية و التفاهم في شأنها مسبقا. ينظر: أحمد القصّاب، **تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956 م**، تع: حمادي السّاحلي، ط1، ش. ت. ن و. ت، تونس، 1986 م، ص ص 9-14.

[2]- محمد الشّيخ برابح: " التطور التاريخي للحدود الجزائرية المغرب الأقصى و تونس نموذجا "، **مجلة دراسات و أبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الإجتماعية**، العدد 27، جوان 2017 م، ص 13.

[3]- مجلة الأمة التونسية: **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي**، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على الساعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على الساعة: 17:54.

[4] - تدرج في الخدمة بالحاضرة، حتى بلغ رتبة"خزنه دار" عند محمد باي بن مراد، ثم أصبح بايا على ولاية تونس وعين عليها وتمت مبايعته في 12 جويلية 1705م، وشهد بيعته العلماء والاعيان والعسكر، وحاول سد الخلل الذي اصاب تونس وتحصينها، كما عمل على تطوير الجانب العسكري. ينظر: أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ط2، الدار التونسية، مج1، ج2، تونس، 1977م، ص ص 105-107.

[5] - هاينيريش بارت: **سبع رسائل مخطوطة لهاينيريش بارت عن رحلته إلى تونس 1845-1846م**، تح وتع: منير الفندري، د. ط، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات بيت الحكمة، تونس، 1987م، ص 21.

أوروبيين،[1] حيث طلب من فرنسا إرسال بعثة من الضبّاط لتطوير جيشه فلبت فرنسا طلبه، وأرسلت بعثة من الضبّاط الفرنسيين، و انتهز خير الدين فرصة الالتحاق بالجيش بلواء الفرسان تحديدًا،ونظرًا لشجاعته و إقدامه أهل لأن يرأس واحدة من فرق الفرسان في الجيش التّونسي حتى إرتقى إلى رتبة أمير للواء الفرسان في عام 1849م.[2]

أنشأ الباي أحمد مصانع تذويب الحديد و مصنع البارود ومصانع تصنع الأقمشة الرّفيعة وغيرها، كما أنشأ أسطولاً بحرياً و مرفأ، و بنى ثكنات للجيش التّونسي بعد أن جعله جيشاً نظامياً.[3]

أولا/ الإنشاءات الحربية:

صبّ أحمد باي اهتمامه على جيش المشاة، فكوّن منه عدة فرق و بنى له عدة ثكنات مثل: ثكنة باردو،[4] غار الملح. ووزع تلك الفرق على المنستير و القيروان و غار الملح و المحمدية ومنوبة، و كانت تركيبة الجيش النّظامي التّونسي سنة 1855م على النحو التالي: 19800مشاة، 794قناصة مشاة، 1266 جندي خيالة، 6084 مدفعية، 1500 بحرية، وبهذا بلغ العدد الإجمالي للجيش التّونسي(النّظامي و غير نظامي) سنة 1855م 76194 جندي تونسي.[5]

[1]– مجلة الأمة التّونسية: **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي**، تاريخ 30أكتوبر 2017م، على الساعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على الساعة: 17:54.

[2] – سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص 27.

[3]– مجلة الأمة التّونسية: **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي**، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على الساعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

[4]– هي مدرسة عسكرية أسسها الباي أحمد باشا سنة 1838م، لتخريج الضبّاط الفنيّين و المهندسين و الموظّفين، جلب إليها أساتذة من فرنسا و ايطاليا و انجلترا، و اهتمت بتدريس الرّياضيات و الهندسة و التعبئة الحربية، و تعليم الجغرافيا و اللّغتين الفرنسية و الايطالية. ينظر: الطّاهر عبد الله: المرجع السّابق، ص 17.

[5]– مجلة الأمة التّونسية: **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي**، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على الساعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

ثانياً/ الثّكنات:

أ- ثكنة منوبة: أنشأها أحمد باي و عسكر بها الخيالة سنة 1839م، و التي كانت عبارة عن قصر قديم و قال أحمد باي: ((لأن يكون رباط عسكر أحسن من بقائه قصر نزهة، وهو يسع العسكر و ضبّاطهم و خيولهم)).[1]

ب- ثكنة الطّبجية: تم بناؤها في فيفري 1840م بالمحل المعروف بالقنديل، أسّسها أحمد باي بالفدان بطريق باردو، وكان أصلها قصر نزهة لعم أبيه إسماعيل باي، فزاد فيها إلى أن أصبحت تسع 4 آلاف جندي من الطّبجية بمدافعهم و خزائنهم و خيولهم، و جعل بها دار صناعة لإنشاء السّلاح و ضروريات المدافع و أحكم بها خزنة للمهمات و لوازم الحرب.[2]

ج- ثكنة المحمدية: كانت في الأصل قصرا من قصور أحد الوزراء أخذها منه أحمد باي وعوضه عنها، ثم بنى فيها الأبنية الضّخمة من البيوت المتّسعة الغرف الأنيقة ولما تم بناؤها وتجهيزها اتخذها ثكنة للعسكر سنة 1843م.[3]

ثالثا/ المصانع: هناك العديد من المصانع التي أنشأت لتلبي حاجيات الجيش التّونسي، ومن أهمها:

أ- مصنع القماش بطبربة: بدأ بناؤه سنة 1839م، بالبطان على ضفاف وادي مجرد و يسمى أيضًا دار الملف وتم تدشينه سنة 1844م، وكان يحتوي على 2422 مكينة تعمل بالطّاقة المائية و يشغل مئات العمّال التّونسيين، أما إنتاجه فكان في المرحلة الأولى موجه لتلبية حاجيات الجيش من لباس عسكري رفيع، ثم أصبح يصدر فائض الإنتاج إلى ايطاليا.[4]

ب- مصنع الجلد: أنشأ بالقرب من المحمدية و الهدف منه تلبية حاجيات الجيش التّونسي،

---

[1] – بن أبي الضّياف: المصدر السّابق، مج2، ص 30.

[2]– نفس المصدر، مج2، ص 30.

[3] – مجلة الأمّة التّونسية: **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي**، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على السّاعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

[4] – مجلة الأمّة التّونسية: " **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي** "، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على السّاعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

وفي سنة 1845م أنشأت مدبغة أخرى بالقصبة و قد وفرت دار الجلد أيضًا أرباحاً للدولة ومكنّت البلاد من تصدير فائض الجلد إلى الخارج.[1]

إضافة إلى مصانع البارود، حيث أنشئ المصنع الأول قرب منوبة، و الثّاني في اللّجم وقد تدّعمت هذه الصّناعة أكثر بداية من سنة 1860م، وكذلك مصنع المدافع، الذي بني بالعاصمة التّونسية لتذويب الحديد و النّحاس لصنع المدافع، ودور صناعة السّفن، الأول في حلق الواد سنة 1841م، و الثّاني في غار الملح، وقد بنـــيت عدة ســـفن حربية تونسية في تلك الدور،وتحتوي أيضًا على مصانع للسّلاح ومصانع لقطع الغيار و مستودعات مشحونة بالذخائر الحربية و آلات الدّفاع الحربية.[2]

رابعا/ الضّغط العسكري الفرنسي في تونس ورد فعل التّونسيين:

في سنة 1843م، قامت القوات الفرنسية بغارات مدعومة بقبائل جزائرية مناطق الخزارة و حكيم و وشتاتة و ورغة في صيف 1843م، في موسم الحصاد، خلفت خسائر بشرية ومادية بسبب غياب الجيش التّونسي، وحققت هذه الحملة هدفها السّياسي و هو رسم الحدود و احترام التّونسيين لها سواء وافقوا أو رفضوا.[3]

3- اقتصادياً:

كان سكان الرّيف التّونسي في القرن 19م يمتازون بالزراعة و الفلاحة، أما سكان المدن فكان نشاطهم يقتصر على الحرف البسيطة و التّجارة، فسكان الريف كانوا يستخدمون في زراعتهم أدوات بدائية فعاليتها قليلة، و كانت الفئة الأخرى المشكلة من البدو و أشباه البدو سكان المضارب و الخيم تساعد أهل الريف في الزّراعة، و لكنهم كانوا يفرون إلى عمق الصّحراء عندما تتعرض البلاد للجفاف أو زيادة الضّرائب، و نتيجة عدم انفتاح المجتمع التّونسي الريفي على الزّراعة الحديثة أصيبت المواسم الزّراعية بالبوار، وممّا زاد من حدّة هذه الأزمة شروع الأوروبيين في تطعيم و تلقيح و تأصيل الأشجار المثمرة، بحيث

[1] – بن أبي الضّياف: المصدر السّابق، مج2، ص 55.

[2] – مجلة الأمّة التّونسية: " **الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي** "، بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على السّاعة: 07:02 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

[3] – مجلة الأمّة التّونسية: " **الإدراك السّياسي التّونسي لمسألة الحوز و الحدود** "، بتاريخ 30 أكتوبر 2017م، على السّاعة:06:59 مساءا، www.alomma.tn، الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 18:59.

أصبحت تدر غلالاً وفيرة، غير أنّها لم تبقى في قبضة التّونسة، و إنما تحولت إلى أيادي الأجانب و في مقدمتها غلال زيت الزّيتون، حيث أنشأ الأوربيون المعاصر البخارية الحديثة و وضعوا أيديهم على مجمل الإنتاج التّونسي من الزّيتون.[1]

أمّا عن واحات الجريد فهي تمتاز بغراسة النخيل، إلاّ أنّ أغلبية سكانها كانوا يعيشون في فقر مدقع، لأن الثّروة كانت تنتفع بها السّلطة[2]، كما اشتهر التّونسة بصناعة نوع من النّسيج كانوا يطلقون عليه اسم(الشّاشية) و كان مصدر رزقهم و عماد الاقتصاد التّونسي آنذاك إلا أنه تلقى صفعة أليمة على يد الصّناعة الأوروبية المتطورة التي كانت آلاتها تدار بالبخار و تنتج نتاجًا كثيرًا من الشّاش، فرخص سعره وأصيبت الصّناعة في تونس بضربة قاضية.[3] أما عن سكان المدن الذين يمارسون التّجارة، اهتموا في تجارتهم الخارجية بتصدير القمح و الزّيت و الفوسفات.[4]

مرت تونس في الثلث الأخير من القرن 19م بأزمة اقتصادية، فأنهكتها الدّيون المتراكمة التي بلغت 150 مليون فرنك فرنسي ناتجة عن فساد بعض الحكام حينًا و عن ضعفهم و تراخيهم أمام المفسدين في حين آخر، إلى أن تفشّت المجاعة في أواسط الطبقتين الفقيرة و المتوسطة من الشّعب التّونسي[5]، و راحت الدّولة تستدين من السّوق العالمية و كان أرلنجي "Erlange"[6] ذلك المغامر في الأمور المالية و شريك الوزير الأول مصطفى خزندار أكبر صانع للقروض التّونسية التي لم تكن تعود بالفائدة إلا على المقرضين و الوسطاء و مزودي الحكومة و قلّما كانت لصالح الدولة.[7]

---

[1] – سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص17 – 18.

[2] – علي المحجوبي: المرجع السّابق، ص 18.

[3] – سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص 18.

[4] – الحبيب ثامر: المرجع السّابق، ص 6.

[5]– سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص 38– 39.

[6] – هو شريك الوزير الأول مصطفى خزندار، و أكبر صانعي القروض التّونسية، و هو المتسبب في خضوع البلاد لوصاية اللّجنة المالية العالمية في سنة 1869 م. ينظر: محمد الهادي الشّريف: **تاريخ تونس**، د. ط، دار سراسر، تونس، 2001م، ص 97.

[7] – سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص 40.

وزادت الأزمة الطين بلة و وصل الباي إلى هاوية الإفلاس ووضعت أمواله تحت وصاية اللّجنة المالية، التي تأسّست سنة 1869م تحت رئاسة الشّخصية التّونسية المرموقة خير الدّين، و علم هذا الأخير بالسّياسة الماكرة و الفاسدة التي كان عليها الوزير الأول مصطفى خزندار وأخضعه للمحاكمة و تم عزله من منصبه و أرغمته المحكمة على تعويض الشّعب التّونسي بـــ 25 مليون فرنك فرنسي وهذا كان في سنة 1873م. [1]

و بعد القضاء على مصطفى خزندار تولى خير الدّين منصب الوزير الأول و توجه إلى إصلاح الاقتصاد و عمل على إرجاع الأراضي إلى أصحابها و تشجيع الزّراعة و تقليص الكثير من الضّرائب مع تعيين أناس لجبايتها مشهود لهم بالنزاهة، و بهذا حقق خير الدّين في سنوات معدودة إصلاحات واسعة و على أكثر من صعيد، ففي السّياسة الخارجية اتبع أسلوب الحزم و الحكمة مع ممثلي الدول الأوربية التي سعت إلى بسط سيطرتها على تونس عن طريق الدّيون المتراكمة، حيث كان يرد أي طلب يمس بسيادة تونس و اقتصادها و قرارها الوطني.[2]

أما عن الإصلاحات الأخرى فقام بإنعاش القطاع الزّراعي و شجّع على زراعة النخيل والزّيتون و أصدر قانوناً ينص على أنّ زراعة هذين النّوعين معفاة من الضّرائب على مدى 20 عامًا. و عمل على إحياء الحرف و الصّناعات الصّغيرة التي كانت في طريقها إلى الانقراض.[3]

و في الأخير نستنتج أن القبضة الحديدية التي اعتمدها خير الدّين في تصديه للفساد والانهيار و الإفلاس و مواجهة العمليات المستمرة لبيع الوطن ساهمت في تحقيق الاستقرار النسبي لتونس سياسياُ و اقتصادياُ و اجتماعياُ و ثقافياُ، في ظّل الإصلاحات التي أدخلها على السّياسة و الاقتصاد و سائر نواحي الدّولة بتغييره أسلوب الحكم الذي كان سائداً من قبل استسلام الباي لضغط الأوربيين و بتأثير قسم من رجال البلاد انتهت تجربة خير الدّين الإصلاحية في جويلية سنة 1877م و تخلى نهائياً عن آخر فرصة لإخراج البلاد من البؤرة

[1]– سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص43 – 45.

[2]– محمّد الهادي الشّريف: المرجع السّابق، ص ص 97– 98.

[3]– سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص 45– 46.

وعاد السير من جديد نحو الهاوية و كرّس ذلك رسمياً في عهد الصّادق باي بتاريخ 12 ماي 1881م[1].

4- اجتماعياً:

كان سكان تونس في القرن 19م، يتوزعون بين المدينة و الريف و الصّحراء أما عددهم الإجمالي فلم يكن يتجاوز المليون و النصف مليون نسمة، وكان سكان المدن يقتصرون في معاشهم على الحرف البسيطة و على التّجارة، و كان سكان الرّيف مزارعين و فلاحين يعيشون في عزلة تامة عما يدور خارج حدود قراهم و مزارعهم.[2]

المجتمع التّونسي هو مزيج من أعراق و أجناس متعددة، انصهرت بفعل الزمن لتشكل وحدة المجتمع التّونسي كالأمازيغ الذين وفدوا على تونس مهاجرين و الفينيقيين كمتاجرين والفاتحين العرب المسلمين.[3]

أما عن المدن فتوجد بها مدن كثيرة و خاصة في الشّمال و على السّواحل و في الجنوب و قد لعبت الكثير منها دورًا هامًا في تاريخ تونس و من أهم مدنهم تونس و القيروان و صفاقس و سوسة و بنزرت و قابس و المهدية و توزر و مساكن و المنستير و القلعة الكبرى و ماطر وباجة و الكاف.[4]

ولقد كان سكان المدن يشكلون نسبة ضئيلة من مجموع السّكان تتراوح مابين 5 و 7% تتمركز أساسًا في المدن الرئيسية لأن النّشاط الاقتصادي الغالب على السّكان هو الزّراعة والرّعي، أما نسبة سكان الأرياف و البوادي فتشكل السّواد الأعظم من مجموع التّونسيين وحسب تقديرات سنة 1860م كان تعداد سكان المدن الكبرى على النّحو التالي:

---

[1] – سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص 45- 46.

[2] – نفس المرجع، ص 17.

[3] – صالح اليمان و محمد العايبي: **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في تونس خلال القرن التّاسع عشر ميلادي وردود الفعل الشّعبية**، (مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر)، جامعة الشّهيد حمّة لخضر، الوادي، 2016-2017م، ص37.

[4] – الحبيب ثامر: المرجع السّابق، ص 3.

المدينة	السّكان	المدينة	السّكان
تونس	80.000	الكاف	3.000
صفاقس	10.000	سوسة	8.000
القيروان	15.000	بنزرت	5.000

[1]

و تتكون المدن التّونسية من الفئات التّالية: الأتراك و الأعلاج و الكراغلة و الحضر واليهود و الدخلاء (البرانية) و تتميز كل جماعة بوضعها الخاص إلاّ أنّها كانت تعيش في انسجام اجتماعي تحكمه روابط الجوار و المصالح الاقتصادية و الاجتماعية المختلفة كالتّفاعل فيما بينها أثناء حضور الأعياد و المناسبات باستثناء طبقة العبيد بالنظر إلى وضعها الاجتماعي الخاص، أما عن سكان الريف فيشكلون جماعات متنقلة، و يكونون حيث يكون مصدر رزقهم فإن كانت السّنة مبشّرة استقروا، و إن كانت عكس ذلك انتقلوا إلى مكان آخر وكانوا أكبر المتضررين من السّنوات العجاف.[2]

و تعرّض المجتمع التّونسي خلال القرن 19م للأمراض الفتّاكة و الأوبئة الخطيرة التي تقضي على آلاف الضّحايا في أيام معدودات و كان عامة النّاس لا يجدون مفرًا منها وهذه الأمراض قضت على قرى بأكملها كما أفاد بذلك بعض الرّحالة الأوروبيين مثل: المنصر كريستيان فرديناند إيفالد " Christian Ferdinand Eivald"[3]، أما الإجراءات الوقائية التّي يتّخذها الحكّام للوقاية من فتك هذه الأمراض كانوا يقومون بما يسمى (بالحجر الصّحي) و هو أن يعزل المصاب مدة

[1] – صالح اليمّان ومحمّد العايبي: المرجع السّابق، ص ص 39–40.

[2] – نفس المرجع، ص ص 41– 43.

[3]– هو كريستيان فرديناند، ألماني الجنسية، ولد سنة 1803 م، قام برحلة إلى الجزائر و تونس و ليبيا بين 1832 – 1835 م، بهدف التّنصير، لكنه لم يحقق نتائج تذكر في مسعاه. للمزيد ينظر: إيفالد كريستيان فرديناند: **رحلة المبشّر إيفالد من تونس إلى طرابلس 1835 م**، تر، تح: منير الفندري، د. ط، بيت الحكمة، تونس، 1991 م، ص 10.

من الزّمن خارج أسوار المدينة و لا يسمح له بدخولها إلاّ بعد استرجاع عافيته وليتفادى وباء الكوليرا أيضا، الحرص على نظافة الشّوارع و الأماكن العامة و القضاء على البرك و المستنقعات، حيث أدّت هذه الأوبئة إلى وفاة عدد كبير من التّونسيين مثلاً: القيروان التي بلغت فيها نسبة الموتى ثلث الأهالي.[1]

و من بين الانجازات في المجال الصّحي كذلك في عهد الوزير المصلح خير الدّين ما يعرف بالمستشفى الصّادقي لصالح الفقراء و المعوزّين الذّين لا يستطيعون التّكفل بعلاج أنفسهم و أبنائهم، و شرع في بناءه سنة 1876م و أكمل انجازه الوزير مصطفى بن إسماعيل[2] سنة 1879م، و سمي بالمستشفى الصادقي نسبة إلى الباي محمد الصّادق الذي أمر بإنجازه وخصص لعلاج المرضى المسلمين دون غيرهم.[3]

و يرى الطّاهر عبد الله في " كتابه الحركة الوطنية التّونسية " أن المجتمع التّونسي تفرق إلى طبقتين:

1- طبقة برجوازية مستسلمة: وطنت النّفس على الاقتناع بتفوق هؤلاء الدخلاء فسارت على منوالهم و أخذت طريق الثّروة و المال و اللّذة، تاركة الشّعب يتخبط في أوضاعه المزرية.

2- طبقة عريضة و متبرمة و متململة: تتكون من فئة متصوّفة و فئة مثقّفة، فالأولى وجدوا ملاذهم في مغادرة البلاد إلى الأراضي المقدّسة بالحجاز أما الثّانية المستنيرين رأوا أنه لابد من العمل على تغيير كل شئ في البلاد و الأخذ بأسباب التّقدم من أوروبا ما يليق بحال البلاد التّونسية.[4]

5- ثقافياً و دينياً: نظراً للحالة المزرية التي كانت تعيشها تونس، صاحبها في المقابل هزالة في الحياة العلمية، إذ أن الكتاتيب هي التي قامت مقام المدارس و الجامعات لم تكن برامجها تخرج عن شئ مقرر منذ مئات السّنين وهو تلقين الطالب شيئاً من القرآن و شيئاً

---

[1]- صالح اليمان و محمّد العايبي : المرجع السّابق، ص ص 46- 47.

[2]- تمكن من تقلد الوظائف المالية كوزارة البحر و الشورى و غيرها لكنه كان قليل الخبرة في الأمور السّياسية، و في سنة 1876 تقدم للوزارة الكبرى، ممّا أدى إلى دخول الحكومة التّونسية في اضطرابات داخلياً و خارجياً، و كثرت المشاكل و اختلفت الأحزاب. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السّابق، ص 117.

[3]- صالح اليمّان ومحمّد العايبي: المرجع السّابق، ص47.

[4]- الطّاهر عبد الله: المرجع السّابق، ص ص 15- 16.

من الحديث ومن النّحو و الصّرف و الفقه و اللّغة و كان جامع الزّيتونة في العاصمة التّونسية يهتم بتحفيظ القرآن والحديث و العقائد و الفقه، و أكثر سكان تونس كانوا أميين، و أنشأت الجاليات الأوروبية في تونس عدداً من المدارس اقتصر التّعليم فيها على أبنائها فقط و هذا ما أدى بتونس إلى التبعية للأجنبي.[1]

ومع مجيء أحمد باي للحكم توجه نحو الأخذ بالمعارف الحديثة لكنه لم يجد نخبة مثقفة وقام بإنشاء مدارس و اقتطع للعلماء مبالغ شهرية و استعان بالبعثات العلمية من الخارج، وأمر أن ينال التلاميذ النّجباء العناية ومن بينهم خير الدّين الذي ظهرت فيه بوادر الذّكاء في سن مبكرة، فأمر الباي بتعليمه و تثقيفه ليكون في أحد الأيام واحداً من مستشاريه، كما اهتم الباي بجمع المخطوطات الموجودة في الجوامع و المساجد للم شملها و حفظها من التّلف، حيث جمع ألفي مخطوط نادر في العديد من المجالات و أودعهم في مكتبة القصر، و استخدم عدد من الوراقين لترميم الكتب التّالفة.[2]

وبعد تولي خير الدّين رئاسة الحكم بدأ في تطبيق البرامج الإصلاحية التي كان لها الأثر العظيم في تكوين النهضة التّونسية قبل الاحتلال وهي:

1- إنشاء المدرسة الصّادقية لدراسة العلوم الحديثة و اللّغات الأجنبية.

2- تنظيم التّعليم بجامع الزّيتونة.

3- إرسال البعثات العلمية إلى ايطاليا و فرنسا.

4- تشجيع الطّباعة و الصّحافة.

5- إنشاء المكتبة العمومية " المكتبة العدلية ".[3]

وبالتّالي تمكّن خير الدّين من النّجاح في تطبيق المبادئ الإصلاحية في إنشاء المدرسة الصّادقية و اصلاح التّعليم بجامع الزّيتونة، بحيث أصبح الشّاب العربي في تونس مختلفاً في

[1]- سمير أبو حمدان: المرجع السّابق، ص ص 16- 26.

[2]- نفس المرجع ، ص 26.

[3]- الطّاهر عبد الله: المرجع السّابق، ص ص 22، 23. وكذلك الحبيب ثامر: المرجع السّابق، ص 23.

منهجه الثّقافي متأثراً بالمبادئ الإصلاحية التي سعت الحركة الإصلاحية لتحقيقها مدة أربعين عاماً.[1]

ثانياً: الموقف التّونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1- الموقف الرّسمي:

كان موقف الرّسميين التّونسيين وعلى رأسهم البايات ووزرائهم وولاتهم سلبياً إلى ابعد حد، ولغير صالح المقاومة الجزائرية ويظهر ذلك من خلال تعرض الجزائر للحصار البحري الفرنسي الذي دام ثلاث سنوات، أي مابين 1827-1830م، وقبل هجوم الأسطول الفرنسي بمدة قليلة كلّف السّلطان العثماني محمّد الثّاني(طاهر باشا) بمهمة إنهاء الخلاف القائم بين الجزائر وفرنسا بطرق سلمية، وعند وصوله إلى ميناء تونس في 10ماي 1830م، منعه الباي حسين من الدّخول لتونس بتحريض من القنصل الفرنسي ماثيودي لسبوس "Mathodie Lispos"، ولعل ذلك يدل على تواطؤ البايات التّونسيين مع فرنسا منذ بداية الأزمة بين الجزائروفرنسا، و يؤكد على دعم حكام تونس للاحتلال هو قيام فرنسا بحرب نفسية للتفريق بين الشّعب و السّلطة الجزائرية.[2]

ومن مظاهر تأييد حكام تونس للعدوان الفرنسي على الجزائر تمويلهم للحملة الفرنسية بالماشية، ومنعهم لتهريب البارود من طبرقة إلى قسنطينة، كما أرسلوا وفداً لتقديم تهنئة "لديبرمون ".[3]

ونظراً لأطماع الحكام التّونسيين للسيطرة على إقليم قسنطينة قام " كلوزيل " بإبرام اتفاقية في 18 ديسمبر1830م مع باي تونس بمنحه قسنطينة ويتولى إدارتها مصطفى بن محمود أخو الباي التّونسي،[4] و يقول احمد باي في مذكراته: ((وبعد وقت قصير علمت أنّ الجنرال الذي كان يحكم الجزائر أمر بعزلي وابرم في هذا الموضوع عهداً مع باي تونس، وينص هذا العهد على أن قسنطينة تكون تابعة لتونس وأن سي مصطفى أخا العاهل التّونسي

---

[1]- الطّاهر عبد الله: المرجع السّابق، ص 23.

[2]- نصيرة نواصر: **مواقف تونس والمغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847م**، (مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، 2010-2011م، ص ص 76-78 .

[3]- بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 60.

[4]- نصيرة نواصر: المرجع السّابق، ص 78.

هو مرتبة الباي فيها))،[1] وقام الباي التّونسي بنشر رسائل في إقليم الشّرق تدعو للثّورة ضد أحمد باي وتعلن انضمام قسنطينة إلى تونس وتصف أحمد باي بالمستبد و الطّاغية،[2] وتنص الاتفاقية على أن يطّبق الباي مصطفى كل ما يرسمه له القائد العام الفرنسي بالجزائر وأن يعمل لصالح فرنسا ويقوم بجمع الضّرائب من السّكان ويدفع منها نسبة لفرنسا، وفي 06 فيفري 1831م وقع كلوزيل اتفاقية أخرى تنص على تعيين أحد أقارب باي تونس في منصب باي وهران، إلا أن الإدارة الفرنسية عارضتها وألغتها، وفي 11 فيفري وصلت سفينة تونسية إلى وهران تحمل بضع المئات من الجنود التّونسيين إلاّ أنّ الشّعب الجزائري بوهران طاردهم وقتل الكثير منهم، ممّا دفع بالحكومة الفرنسية بعزل كلوزيل من منصبه وإعادته إلى فرنسا.[3]

رغم كل المساعدات التي قدمها باي تونس للجانب الفرنسي ودعمه لاحتلال الجزائر، إلّا انه تعداه بمساعدة أعوان المخابرات الفرنسية الذّين أوفدتهم حكومة باريس من أجل الجوسسة والتّفريق بين السّكان، حيث اتخذ الفرنسيون تونس مركزاً للاستطلاع.[4]

ومن أبرز الأمثلة على المواقف السّلبية لبايات تونس، معارضتهم لثورة الأمير عبد القادر[5] والحاج أحـــمد باي وحركة الشّريف محمد بن عبد الله[6] ومحي الدّين بن الأمير عبد القادر وبن ناصر بن شهرة والمقرانيين[7] والكبلوتي والصّبايحية زمالات الحدود عام 1871م،[8] وثوار انتفاضة الأوراس عام 1879م.[9]

---

[1]– أحمد باي: المصدر السّابق، ص 21.

[2]– نصيرة نواصر: المرجع السّابق، ص 79.

[3]– علي محمد محمد الصّلابي: **كفاح الشّعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر إلى ماقبل الحرب العالمية الأولى**، د. ط، دار المعرفة، لبنان، د. س، ص ص325 – 326.

[4] – نصيرة نواصر: المرجع السّابق، ص 79.

[5]– يحي بوعزيز: " مواقف بايات تونس من الأمير عبد القادر وثورته "، **مجلة الاصالة**، ع 23، جانفي– فيفري 1975م، ص ص23 – 24.

[6] – يحي بوعزيز: " وثيقتان جديدتان من كفاح الشّريف محمد بن عبد الله "، **مجلة الثقافة**، ع 33، جوان– جويلية 1976م، ص ص 11–28.

[7]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السّابق، ص 320.

[8]– يحي بوعزيز: " مواقف الرّسميين التّونسيين من ثورة الصّبايحية والكبلوتي في منطقة الحدود الشّرقية عام 1871م"، **مجلة الاصالة**، ع 61/60، أوت سبتمبر 1978م، ص ص 223–233.

[9]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية** ، المرجع السّابق، ص 320.

وعندما اتّصل الأمير عبد القادر وحلفاؤه ونوابه ببايات تونس لتوحيد الكلمة في مواجهة الاحتلال وتعزيز جبهة الجهاد، تلقى الأمير عدم تجاوب هؤلاء مع تلك المبادرات وحرصوا على تأكيد عدائهم للمجاهدين وبلغ الأمر بالباي أحمد بن مصطفى حد معاقبة وكيله لإعانته للأمير على شراء بعض الأسلحة وتقديمه جوازات سفر لبعض المغاربة الذين يبدو أنهم كانوا يعملون لصالح الأمير.[1]

كما أمرت حكومة الباي ولاتها بالقبض على محي الدّين ابن الأمير عبد القادر حين دخوله إلى الجزائر من الجنوب التّونسي متنكرا ليشعل نار الثّورة من جديد ولكنه نجا منهم، كما قامت في سنة 1875م بطرد ناصر بن شهرة والكبلوتي الملتجئين إلى تونس.[2]

و يمكن القول إن سياسة بايات تونس تجاه الجزائر كانت محكومة بعدة اعتبارات منها التّدخل الفرنسي في الشّأن الداخلي التّونسي، و سوء العلاقات بين السّلطات العثمانية في الجزائر و تونس، ورغبة بايات تونس في التّوسع على حساب بايات الجزائر، غير أن ذلك لا يعنى بأن بايات تونس قد قطعوا علاقاتهم تماما مع الجزائريين، فنجد الباي التّونسي يستقبل الجزائريين الفارين إلى بلاده، كما استقبل الكثير من الجزائريين الذين لجؤوا إلى تونس بعد سقوط قسنطينة، وضمّ إلى جيشه من كانوا في الخدمة الحربية في صف الحاج أحمد باي.[3]

2- الموقف الشّعبي:

حينما كان موقف البايات من احتلال الجزائر موقف المؤيد و المشجع، كان موقف الشّعب التّونسي موقف المستنكر و المؤيد لحركة مقاومة الاحتلال، والملبي بما في طوقه لنداء الجهاد،[4] بحيث كان ايجابيا إلى ابعد حد بحكم روابط الجوار والقربى والعرق و الدّم و التّاريخ والمصير المشترك عبر أقدم العصور، ففتحت تونس أبوابها للمقاومين الجزائريين و آووهم وحموهم وقدموا لهم كل ما يمكن تقديمه من عون ومساعدة رغم معارضة حكّامهم،

---

[1]- بشير بلاح: المرجع السّابق، ص 99.

[2]- محمّد المرزوقي: **معارك و أبطال، صراع مع الحماية**، د. ط، دار الكتب الشّرقية، تونس، ج 2، 1973م، ص ص 60 – 62.

[3] – فارس العيد: المرجع السّابق، ص ص 34 – 35.

[4]- محمّد المرزوقي: المرجع السّابق، ص 18.

الذين تصدوا لكل من يريد المساعدة أو الاتصال بالجزائريين خاصة منطقة الشّرق، وهذا منذ حملة الاحتلال الفرنسي على الجزائر سنة 1830م.[1]

وعندما ثار الأمير عبد القادر في وجه الاحتلال الفرنسي اعتمد على تقديم المساعدة من طرف الشّعب الجزائري وجارته تونس، إلاّ أنّ الحكومة التّونسية كانت تطارد المساعدات الشّعبية وتمنعها من الوصول إلى المجاهدين، حيث قبضت على القوافل المحمّلة بالأسلحة، سواء في ثورة الأمير عبد القادر أو في ثورة المقراني سنة 1871م.[2]

ومن صورة المساعدات التي قدمها الشّعب التّونسي للمجاهدين الجزائريين الفارين إلى تونس، قيام الشيخ محمّد بن عبد الله المرزوقي بإيوائهم وحمايتهم، وتواصلت مساعداته حتى ثورة المقراني، حيث ساهم فيها الشّيخ بما استطاع من التّأييد المادي و المعنوي واتصل برجالها، ولكن كانت في كلّ مرّة الحكومة التّونسية تضايق عليه وقامت بالقبض عليه وتعذيبه لقطع التّواصل بينه وبين المقاومين الجزائريين.[3]

كما يذكر محمد المرزوقي أنّه اطلع في سنة 1836م على رسائل خاصة صدرت عن الأمير عبد القادر عند المرحوم محمّد بوراس القيرواني موجه إلى والد الشّيخ بالقيروان يشكر فيها الأمير الشّيخ بوراس الكبير على المساعدات التي يوجهها المسلمون الصادقون بالقيروان إلى الجهاد الجزائري، كما أنّ هناك مساعدات أخرى كانت تصل إلى الجزائر من الجنوب التّونسي، حيث تم نقل البارود لبوشوشة في جنوب تونس وأصبح رائجاً بصورة لم تكن من قبل.[4]

ومن صورة المساعدات أيضاً حماية الشّعب التّونسي للمقاومين الفارين أمثال: الشّيخ محمّد الحسناوي بن بلقاسم الحنّاشي الذي سعى يوسف اللّيقرو لاستعادته ولم يفلح، وبعد فشل ثورة واحة الزّعاطشة 1849م لجأ المقاومين إلى نفطة وتوزر ونفزاوة بإقليم الجريد التّونسي فآواهم السّكان وقدموا لهم المساعدة وفعلوا نفس الشئ مع الشّريف محمّد بن عبد الله ورفقائه، ومع

---

[1]- يحي بوعزيز: " دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية و موقف الجزائريين من احتلالها عام 1881م "، **مجلة الثقافة**، ع 70، جويلة- أوت ، 1982م، ص ص 47- 48.

[2]- محمد المرزوقي: المرجع السّابق، ص 59.

[3]- نفس المرجع، ص ص 59- 60.

[4]- محمد المرزوقي: المرجع السّابق، ص 256.

ثوار الزّواغة وفرجيوة عام 1864م، كما قدموا إسعافات ومساعدات مادية كالأغذية والخيام لصبايحية زمالات الحدود الشّرقية والكبلوتي والمقرانيون وبن ناصر بن شهرة عام 1871م.[1]

و الملاحظ هو أنّ الموقف الرّسمي التّونسي كان سلبياً، حيث لم يقدم أي مساعدة ولم يكن مؤيداً للمقاومة الشّعبية الجزائرية وأغلق البلاد في وجه القبائل الجزائرية الحدودية المقاومة للاحتلال الفرنسي، إذ تعاون بعض البايات التّونسيين مع ضبّاط الحملة الفرنسية على الجزائر بعد أن أغروهم بتعيين أميرين تونسيين من العائلة الحسينية على كل من بايلك وهران وبايلك قسنطينة وأثاروا فيهم رغبة التّوسع دون أن يكون في استطاعتهم ذلك ودون أن يعرفوا بالضّبط الأغراض و الأهداف الاستعمارية لأولئك الضّبّاط الفرنسيين، وعند فرار المقاومون الجزائريون إلى تونس فرادى وجماعات للاحتماء و الاستعداد من جديد، كان الرّسميون التّونسيون يمنعوهم من القيام بأي نشاط ضد جيش الاحتلال الفرنسي في منطقة الحدود، وكل هذا كان بسبب الضّغط الفرنسي المسلط عليهم وضعف حكوماتهم عن مواجهة الصراع الاستعماري على البلاد التّونسية، في حين نرى أن الشّعب التّونسي الشّقيق كان موقفه إيجابياً ولم يغير موقفه المؤيد لكفاح الجزائر، حيث كان على أتم استعداده لدعمهم وتأييدهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه للمقاومة فضلا على الإيواء، و أبدى تضامنه وتعاطفه مع الشّعب الجزائري وفتح بيوته وأراضيه لاستقبال المهاجرين الجزائريين الفارين من بطش الاحتلال الفرنسي، كما قدم له يد العون والمساعدة والتّأييد المادي و المعنوي بكل ما في وسعه رغم معارضة حكامهم.

ثالثاً: لجوء المقاومين الجزائريين إلى تونس ونشاطهم فيها.

1- ظروف الالتحاق بتونس:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م و اندلاع المقاومات الشّعبية ظهرت الهجرات الجماعية نحو الدّول المجاورة لها خاصة تونس، والتي عرفت هجرات كبيرة من طرف الجزائريين بسبب السّياسة الفرنسية والقوانين القمعية التي فرضتها على الأهالي وبسبب قانون التّهجير الذي أصدرته فرنسا ضد زعماء المقاومات الشّعبية وعائلاتهم وأعراشهم، وكان الدّافع الرّئيسي للجوء إلى تونس هو رفضهم لسيادة المحتل الكافر على صاحب الأرض

[1]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السّابق، ص ص 321- 322.

المسلم، ولم تكن الهجرة غاية في حد ذاتها لكنها كانت وسيلة لجأ إليها الجزائريون نتيجة للأوضاع السّيئة التي آلت إليها البلاد، بسبب القهر الذي مارسه المحتل الفرنسي على السّكان، وهذا ما دفع بالعديد من الأفراد و العائلات إلى الهجرة ومغادرة الجزائر و التحاقهم بتونس.[1]

كما مارست قوات الاحتلال العديد من المظالم و التجاوزات التي أثرت على أوضاع الجزائريين في العديد من المجالات ومن أهمها:

– أعمال الإبادة الجماعية والتّخريب التي انتهجتها فرنسا في الجزائر، ويذكر أن قوات الاحتلال الفرنسي قد فتكت بنحو مليون جزائري خلال عمليات المقاومة الشّعبية الأولى للغزو الفرنسي في فترة مابين 1830–1857م.

– فرض المزيد من الضّرائب و الغرامات على السّكان ومثال ذلك: ضريبة قدرها 100 فرنك فرنسي لشراء كمّيات من الحبوب.

– الاستيلاء على المساجد و تحويل بعضها لأغراض أخرى مع المؤسسات و الأوقاف.

– اضطهاد العلماء ومصادرة أملاك الجزائريين و خاصة الأراضي.[2]

– تخلّلت المقاومة في الرّيف أعمال نزع الملكية و تحطيم النّظام الاجتماعي له للحد من قوتها، و كانت في كل مرة تظهر قوانين في صالح المحتل حتى يتمكن من نزع الملكية من المزارعين و يجبرهم على التّنقل و الاستيلاء على السّهول الخصبة بدا من سنة1846م – 1847م .[3]

– تدهور أحوال التّعليم بالجزائر و إضفاء الطّابع الفرنسي عليه.

– اختراق وتفكيك المجتمع الجزائري من خلال طمس مقومات الهوية الجزائرية وإتباع سياسة الإقصاء و التّفرقة.[4]

---

[1]– خير الدّين شترة: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التّونسية**، د. ط، دار كردادة للنشر و التّوزيع، الجزائر، 2013م، ص136.

[2]– نفس المرجع، ص137.

[3]– Mohamed Teguia: Op. Cit, p 19.

[4]– خير الدّين شترة: المرجع السّابق ص 138.

– تطبيق سياسة التّعسف و الاضطهاد تجاه الذين قادوا المقاومة ضدّ قوات الاحتلال الفرنسي، وقاموا بالمحافظة على بقاء الشّخصية الجزائرية المتميزة مستقلة عن الشّخصية الفرنسية.[1]

وبخصوص الشّرطة الصّحراوية و الحالة السّياسية لمنطقة سوف ونقرين راسل المراقب المدني بتونس السّيد الحاكم العام للجمهورية الفرنسية بتونس برقية ليعلمه فيها((بأنه وصلته برقية من المكلف بالملحق بالواد بأن مساعدات بشرية معتبرة من النّمامشة في منطقة نقرين ضد عروش من الوادي الذين لهم مشاكل مع النّمامشة، و أنّه على اتصال مع الحاكم في تبسة ليؤكد المساعدات التي ستقدم لهم و اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية النّاحية و التّنسيق مع الدّوريات في الوادي و تبسة)).[2]

ونظراً للعدوان الذي تعرض له الجزائريين إثر اكتساح الجيش الفرنسي للجزائر وصمود المقاومات الشّعبية الجزائرية، إلاّ أنّ سلطات الاحتلال ضيّقت عليهم بتطبيق مجموعة من العمليات و الإجراءات التي ذكرت سابقاً وهذا ما دفع بالمقاومين و السّكان باللجوء إلى تونس.[3]

وقد هاجر إلى تونس الآلاف من الجزائريين هروباً من السّياسة الفرنسية، ففي خلال مقاومة الحاج أحمد باي و الأمير عبد القادر في الثلاثينيات و الأربعينيات من القرن 19م، لجأ إلى تونس عدداً كبيراً من المقاومين الجزائريين منهم الشّيخ الحسناوي بن بلقاسم الحنّاشي، وهاجر مقاوموا الزّعاطشة بعد تخريبها إلى منطقة نفطة و توزر و نفزاوة بإقليم الجريد، وهاجر خليفة الأمير عبد القادر ومحمّد الصّغير بن عبد الرّحمان و الشّريف محمد بن عبد

[1]– أحمد بن جابو: **المهاجرون الجزائريون و نشاطهم في تونس 1830 – 1954م**، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010 – 2011م، ص 34.

[2]– A. N T: C. A, B.279, F.17, D.03.

[3]– جمعة بن زروال: **هجرة زعماء الطّرق الصّوفية التّونسية نحو الجزائر و نشاطهم السّياسي و الدّيني (الشيخ سيدي علي النفطي و الحاج محمد لخضر السّهيلي أنموذجا)**، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10–11 نوفمبر 2013م، ص 2.

الله" بومعزة"و ثوار الزّواغة و فرجيوة سنة 1846م[1]، و في نفس السّنة فرّ من مدينة تبسة العديد من المجموعات تجاه الأراضي التّونسية تعبيراً عن رفضهم لطاعة المستعمر و العيش تحت حكمه، وهناك نماذج من المهاجرين الرافضين الإقامة تحت سلطة المحتل مثل شيخ الزّاوية الرّحمانية ببسكرة الذي هاجر إلى نفطة بالجريد التّونسي و هاجرت مجموعات أخرى من قبائل الشّرق الجزائري نحو المناطق الحدودية مع إيالة تونس كقبيلة أولاد سيدي عبد الملك من أولاد سيدي عبيد[2]، وفي سنة 1853م لجأت عائلات تتكون من 92 رجلا و 76 إمرأة و 124 طفلا تمتلك ثروة حيوانية كبيرة متّجهة نحو القيروان[3]، كما توجه محمّد بن عبد الله وناصر بن شهرة إلى نفطة بتونس و بقيا بها عدة شهور.[4]

وهاجرت العديد من القبائل بعد مشاركتها في المقاومات التي شهدتها الجزائر مثل: هجرة الخيام التّابعة لبني مرمر من دائرة قالمة و"الخضارة" و أولاد سيدي عيسى من دائرة سوق أهراس، والعديد من القبائل من دائرة قسنطينة سنة 1848م بسبب رفضها للخضوع لهيمنة السّلطات الفرنسية، كما غادرت دائـــــرة خنشلة حوالي 128 خيمة منقسمة على عدة عروش، ودائرة تبسة حوالي 403 خيمة من أولاد سيدي عبيد الحمادي، وبعض الخيام من أولاد سيدي عبد الملك، حيث بلغ جملة الخيام الرّافضة للهيمنة الفرنسية، والتي غادرت الجزائر إلى تونس من دائرتي خنشلة وتبسة سنة 1848م حوالي 645 خيمة تضم 4244 شخصاً، وتمثل قبائل أولاد خليفة نموذجاً للقبائل التي هاجرت إلى تونس بعد مشاركتها في مقاومة المقراني والحداد سنة 1871م.[5]

وهجر سليمان بن جلاب آخر سلاطين بن جلاب في تقرت إلى تونس سنة 1854م، و كذلك إبراهيم بن عبد الله شيخ الطّريقة القادرية الجيلانية بورقلة، و محمد بوعلاق اليعقوبي

---

[1]– جمعة بن زروال: المرجع السابق.

[2] – إدريس رائسي: **القبائل الحدودية التّونسية والجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830–1881م)**، ط1، الدّار المتوسطية للنشر، تونس، 2016م، ص 29.

[3]– خير الدّين شترة: المرجع السّابق، ص 267.

[4]– سعود دحدي: المرجع السّابق، ص 141.

[5]– عبد الكريم الماجري: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس (1831–1937م)**، ط1، ش. ت. ن. و. ت، تونس، 2010م، ص 90.

زعيم أولاد يعقوب الأغواطيين و أيضاً الشّيخ محمّد رزوق بن سيدي صالح البسكري، وهجر الشّيخ الميزوني شيخ زاوية الكاف و هجرة بن هلال كاتب الأمير عبد القادر فكل هؤلاء العلماء و شيوخ الطّرق الصّوفية هاجروا من الجزائر إلى تونس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر،[1]وفي سنة 1858م لجأ شيخ السّوافة عبد القادر بن فريحيا إلى تونس.[2]

و زادت حدة اللجوء إلى الأراضي التّونسية بعد ثورة 1871م، حيث كانت هجرة محمّد بن علي بن ناصر و 10 من أفراد أسرته قصراً إلى تونس و استقروا في منطقة الحدود التّونسية الجزائرية المعروفة "بجبل الحمرة" الموجودة قرب وادي زيتون، كما أقام بها من جاءوا من منطقة قالمة،[3] حيث وفي سنة 1872م وبعد القضاء على مقاومة الحاج المقراني التجأ من نجا منهم إلى تونس و استنجدوا بباياتها وكان عددهم أكثر من 504 عائلة[4] بعدما جردتهم فرنسا أملاكهم و اضطهدت أفرادهم، وقد عرفتا عائلتا المقراني والشّيخ الحداد مصيراً بائساً عقب فشل الثّورة وهذا الذي دفعها باللجوء إلى تونس، ((... وهذا لا يمنع من ترك أحفاد الشّيخ الحداد في فقر مدقع كما أنّ أبناء المقراني أصبحوا تجاراً صغاراً)).[5]

و في سنة 1874م ارتفعت نسبة الهجرة الجزائرية نحو الأراضي التّونسية بسبب مراسلات المهاجرين الجزائريين في تونس مع أهاليهم، حيث كانوا يثيرون فيهم غريزة الهجرة والتّرحال وبدأت هذه الهجرات من مناطق عدة في الجزائر فكانت أوّل هجرة كبيرة من الصحراء تلك التي ضمت 300 جزائري قطعوا الجنوب مرورا بالجريد التّونسي دون إذن بالسفر كما تلتها أخرى من وادي سوف و تقرت قدرت بحوالي 2000 فرد و 1200 آخرون هاجروا من ميزاب، و من القطاع القسنطيني قدر عدد الذين خرجوا متجهين نحو تونس حوالى 700 شخص.[6]

---

[1]– جمعة بن زروال: المرجع السّابق، ص1.

[2] – A.N.T: C. A, B. 278, F. 16, D.41.

[3]– A.N.T: C. A, B.275, F. 10, D. 204.

[4]– جمعة بن زروال: المرجع السّابق، ص 1.

[5] – خير الدّين شترة: المرجع السّابق، ص 261.

[6]– نفس المرجع، ص 262.

كما وصل عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس سنة 1876م حوالي 16600 شخص حسب تقدير القنصل الفرنسي روسطون "Roston"[1] في رسالة أرسلها إلى المقيم العام في الجزائر بتاريخ 14 أوت 1876م كما هو موضح في الجدول التالي:

المنطقة	العدد
السّوافة والنّمامشة وتقرت وواحات أخرى	2000
ورقلة	800
الميزابية	1200

2

أما تقدير الوزير الأول خير الدّين أن عدد الجالية الجزائرية عام 1876م بحوالي 15000 جزائري، وبخصوص هجرة سكان الجنوب الشّرقي الجزائري نجد أن سكان ورقلة ووادي سوف وتقرت كانوا يهاجرون في مجموعات يتراوح عددها مابين 10و12 فرد بينما سكان ميزاب كانوا يهاجرون في مجموعات قد تصل إلى 50 فرداً أحياناً.[3]

وحسب تقرير القنصل الفرنسي بتونس الذي وضعه في شهر أوت 1878م الموجه للحكومة العامة بالجزائر، قدر عدد المهاجرين الجزائريين المقيمين بتونس حوالي 16000 شخص من مختلف مناطق الجزائر.[4]

وفي سنة 1879م لجأ محمد بن عبد الرّحمان إلى نفطة بتونس في شهر جوان مع زوجته و أشخاص آخرين، ثم ذهب إلى نفزاوة وفي 27 سبتمبر من نفس السّنة فضّل اللحالحة اللجوء إلى تونس على البقاء.[1]

---

[1]– نادية طرشون: **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، م. م. و. د. ب. ح. و. ث. ن، ط. خ، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 223.

[2]– محمد بوطبي: **الهجرة الجزائرية نحو البلاد التّونسية بين القرنين التّاسع عشر و العشرين 1830–1930م(الجنوب الشّرقي الجزائري نموذجاً)**، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10–11 نوفمبر 2013م، ص 2.

[3]– Germain Marty," **Les algeriens à tunis**", I B L A, tome1, tunis, 1948, p 304.

[4]– خير الدّين شترة: المرجع السّابق، ص 271.

2- دور تونس كقاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية:

2-1/ مناطق الاستقرار للمقاومين بتونس:

لم يكن تواجد المهاجرين الجزائريين بتونس مقتصر على منطقة معينة داخل البلاد التّونسية بل كانوا منتشرين في شتّى المناطق بدءاً من الجنوب حتّى الشّمال.

وكان استقرارهم في المناطق التّونسية حسب حجم المواسم الفلاحية و علاقتهم بالسّلطة الحاكمة بتونس وكان المهاجرون في بداية الهجرة شبه رحل ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن المكان المناسب للعيش وكانت منطقة الجنوب الغربي أكثر المناطق في تونس ارتباطاً بالمهاجرين الجزائريين.[2]

ومن أهم مناطق استقرارهم كانت المناطق الحدودية مثل سوق الأربعاء (جندوبة حالياً) وغار الدّماء و الكريب والكاف وبنزرت في شمال البلاد، كما تمركزوا في الحدود الجنوبية الغربية بمدن الرّديف و نفطة وتوزر والحامة و المتلوي، أمّا بالجنوب الشّرقي فكانوا في جزيرة جربة بالخصوص وتونس العاصمة.[3]

وتوالت الهجرات أثناء المقاومة الشّعبية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث هاجرت عائلات بأكملها و أعيان العلماء و القضاة، من الجهات الشّرقية و الغربية و الوسطى و قد استقرت هناك بتونس و سكن معظمهم في المدن التّونسية و أحوازها.

أ- استقرار المهاجرين بمنطقة الجنوب:

تعتبر منطقة الجنوب التّونسي من أهم المناطق التي ارتبطت بكل مراحل الهجرة الجزائرية إذ كانت منطقة عبور لأغلبية المهاجرين الجزائريين الذين لجئوا إلى تونس، ولم يعرف الجنوب التّونسي خلال القرن 19م استقرار للمهاجرين به في البداية نتيجة للظّروف المناخية الصّعبة و ندرة المياه و عدم توفر فرص الشّغل، إلاّ انّه استقرّ به أعداد قليلة فضّلت البقاء في مناطق جرجيس و قبلي وقابس و قفصة و جربة للعمل في خدمة الزّوايا

---

[1]- عبد الحميد زوزو: المرجع السّابق، ص 47.

[2]- خير الدّين شترة: المرجع السّابق، ص 263.

[3]- بشير مدني: **مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية و السّياسية و الاقتصادية 1830-1962م**، (أطروحة دكتوراه والتاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، 2014- 2015م، ص 44.

و أعمال الحراسة بينما الأغلبية واصلت سيرها نحو الشّمال لتستقر على ضفاف مجردة لتوفر الأراضي الزّراعية الخصبة، وبعد سنة 1871م كانت الصّورة مغايرة حيث قصدتها هجرات كبيرة من نواحي سطيف و قسنطينة عقب ثورة الشّيخ المقراني، كما استقر بها أولاد سيدي عبيد خصوصاً في المنطقة الحدودية المحاذية لمنطقة سيدي يوسف.[1]

ب- استقرار المهاجرين بالشّمال:

تعد منطقة الشّمال من أهم المناطق التي استقطبت أنظار المهاجرين نظراً لطبيعتها الزّراعية و شهرتها في إنتاج الحبوب بسبب توفر المياه و خصوبة الأرض، فقد استقبلت بنزرت مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م العديد من المهاجرين الذين كانوا في اغلبهم من المزارعين الأثرياء من أصول شرقية كأعيان عنابة و بجاية عام 1832م، ثم من قسنطينة بعد عام 1837م، وبعد إخماد ثورة 1871م استقر اغلب اللاجئين الجزائريين في جهات الشّمال التّونسي مثل: جندوبة و ماطر و باجة وبنزرت وبالخوص في تونس العاصمة التي يوجد فيها أعداد كبيرة، حتى كادت تكون خاصة بالجزائريين و لاسيما منهم سكان منطقة القبائل(زواوة).[2]

ومن خلال ما سبق نرى أن منطقتي الوسط و الشّمال كانت أكثر المناطق استقطاباُ للمهاجرين لتوفير فرص المعيشة سواء من ناحية النّشاط الفلاحي أو العمل الحرفي، وهذا كان على مستوى الجماعات أمّا عن وجود المهاجرين على المستوى الفردي فيكاد يغطّي كافة المدن التّونسية.

2-2/ نشاط المهاجرين بتونس:

على الرغم من رفض الرّسميين التّونسيين لتقديم المساعدة للمقاومين الجزائريين إلاّ أنّ الشّعب التّونسي قدّم كلّ ما لديه من مساعدات للمقاومين خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث ألغى كل الحدود الجغرافية التي تفصل بين المنطقتين و خصوصاً مناطق الجنوب الشّرقي الجزائري و الجريد التّونسي و التي عبّرت عنها التقارير الفرنسية

[1] - خير الدّين شترة: المرجع السّابق، ص 264.

[2] - نفس المرجع، ص 266.

بالانصهار التّام بين مختلف القبائل الحدودية الجزائرية التّونسية،[1]((ومناطق الجنوب الشّرقي الجزائري كانت تتحرك بدون حدود إلى حوالي منتصف القرن التّاسع عشر ميلادي فمنطقة الزّيبان والجريد ووادي ريغ وسوف كانت تشكل وحدة متكاملة اقتصادياً و اجتماعياً و روحياً و ثقافياً وكان لانتشار الطّرق الصّوفية فيها دوراً في صنع هذه العلاقات)). الأمر الذي تخوفت منه السّلطات الاستعمارية بأهمية الطّرق الصّوفية و الزّوايا ودورها الاجتماعي و الثّقافي و السّياسي في التّواصل بين المنطقتين. [2]

كانت تونس تشكل الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المقاومون الشّعبيون بعد انتهاء معاركهم ليستقروا مدة من أجل استرجاع الأنفاس و تجديد روح المقاومة و الإعداد للمعركة من جديد، وكلّما ضعفت المقاومة تجد راحتها و استقرارها في نفطة و بلاد نفزاوة التي التجأ إليها بعض المقاومين كمحمّد بن عبد الله وغيره.[3]

ومن النّشاطات التي قام بها المقاومون اللاجئون إلى تونس أمثال مصطفى بن محمّد بن عزوز[4] الذي استقر بالجنوب التّونسي بمنطقة الجريد تأسيس زّاويته الرّحمانية العريقة (العزوزية) بنفطة التي تحولت إلى معقل للثوار المجاهدين و المهاجرين. أمّا الأحفاد فكانوا بالقصرين و تونس العاصمة، أمّا أخوه الشّيخ محمّد بن محمّد بن عزوز أسّس زاوية القيروان، و أسّس محمود بن عبد الحفيظ الخنقي[5] زاوية تمـــــــغزة بالـــــجنـــوب الـــتّونسي و زوايا

---

[1]– رضوان شافو: "انعكاسات السّياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس 1830–1904م"، **مجلة كان التاريخية**، ع 34، ديسمبر 2016م، ص 10.

[2]– أبو القاسم سعد الله: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5، 2005 م، ص 255.

[3]– علي غنابزية: **المقاومة الشّعبية بوادي سوف و أثرها على العلاقات مع الجنوب التّونسي 1854–1882م**، الملتقى الوطني الاول حول المقاومة الشّعبية في الصحراء الشّرقية للجزائر 1850–1875م، المنعقد بجامعة عمار ثليجي الاغواط، يومي 29–30 أفريل 2015م، ص 9.

[4]– ولد بالبرج قرب طولقة بالزاب، وهو إبن مؤسس الطّريقة العزوزية(محمّد بن عزوز)، وهي فرع من الرّحمانية، وقد هاجر إلى تونس أثناء إحتلال فرنسا لبسكرة، و إستقر في نفطة أين أسس بها زاويته المذكورة، وكانت له مكانة دينية و سياسية لدى السّلطات التّونسية، وقد فتح زاويته للمقاومين الجزائريين، وتوفي سنة 1866م. ينظر: علي غنابزية: **المقاومة الشّعبية بوادي سوف**، نفس المرجع، ص 15.

[5]– هو العالم المتصوف و المجاهد المقاوم، الشّيخ عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجلي الهجرسي الإدريسي الحسني الخنقي، ولد ببلدة خنقة سيدي ناجي سنة 1789م، وقام بأداء فريضة الحج مع شيخه محمّد بن عزوز، وكان له صيت لدى النّاس، وكان إستشهاده في حوالي سنة 1849م في معركة واد إيراز، وهناك من قال أن وفاته كانت بنفطة في تونس. ينظر:

أخرى عديدة رحمانية منها زاوية الصابون للشّيخ محمّد الصّالح العمراني و زاوية باجة للشّيخ القسطلّي وزاوية سليانة لابن عبد المالك و زاوية تالة للحاج مبارك و زاوية القصرين لابن قضوم وزاوية مجرطالة و زاوية سيدي الفضيل بالكاف و زاوية سيدي إبراهيم بن الحفناوي وزاوية سيدي عبد المالك بغار دماو، حتى قارب عدد الزّوايا الرّحمانية العزوزية بتونس 100 زاوية، ووصل عدد الأتباع إلى 350.000 مريداً أما زاوية نفطة القاعدة الخلفية للمقاومة الوطنية فلها 16591 من الأتباع إضافة إلى 90 زاوية تابعة،[1] كما قام الشّيخ مصطفى بن محمّد بن عزوز بتقديم الدّعم لثورة علي بن غذاهم بتونس سنة 1864م.[2]

كما نجد المقاوم عبد الحفيظ الخنقي صاحب الزّاوية الحافظية عمل على نصرة الشّيخ بوزيان في واحة الزّعاطشة وخطط لتحرير بسكرة و فك أسرها، حيث قضى على الضّابط سانت جيرمان Saint Germain وواصل الجهاد لاسترجاع بسكرة في نوفمبر 1849م، وكانت المساعدات قادمة له من منطقة الجريد التّونسي، وفي سنة 1850م فرّ إلى الجريد التّونسي لكي لا يتعرض للاعتقال، فتقوت علاقته بمصطفى بن محمّد بن عزوز وبزاوية نفطة أكثر بالمقارنة بزاوية طولقة، كما أسّس ابنه الحفناوي زاوية تونس العاصمة و محمود زاوية توزر.[3]

ولم يبقى عبد الحفيظ الخنقي في تونس مكتوف الأيدي بل قام بمساعدات لبسكرة ونسق الجهود مع المقاومين بتونس وكونوا فرقة من المجاهدين ناهز عددهم 5 آلاف مجاهد، وتم إرسالهم إلى بسكرة للمقاومة،[4] كما لعبت الزّاوية الرّحمانية بالجريد دوراً مشرفاً في دعم المقاومة الجزائرية، حيث كان لها أثر من خلال قيام شيخها بتحويلها إلى مركز تجميع لكل المضطهدين الجزائريين الفارّين ليلتقون فيها لتدار مشاكل بلادهم و تنظيم المقاومة ضد المحتل، كما تناولت بعض التّقارير الفرنسية تسرب البارود الانجليزي إلى الجزائر عن طريق

عباس كحول: **دور الزّاوية الرّحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشّرقي 1849-1859م**،(مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر تخصص المقاومة الوطنية والثّورة التحريرية)، جامعة الجزائر2، 2010-2011م، ص ص 88- 90.

[1]- نفس المرجع، ص 76.

[2]- رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 11.

[3]- عباس كحول: **الجريد التّونسي القاعدة الخلفية للزّاوية العزوزية و المقاومة الوطنية في الجنوب الشّرقي الجزائري**، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م، ص4.

[4] - عباس كحول: **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال**، المرجع السابق، ص 101.

الجريد، ودور التّونسيين في ذلك إضافة إلى حمولات الجمال التي كانت تجتاز الحدود التّونسية الجزائرية بقوافل إلى بلاد سوف بحكم قرب بلادهم من منطقة الحدود.[1]

وهناك العديد من مشايخ الطّريقة أيضا بالجنوب الشّرقي الجزائري اتخذوا من الجريد التّونسي منطلقاً في نضالهم ضد الاحتلال الفرنسي ومنهم بن ناصر بن شهرة أحد أتباع الطّريقة القادرية الذي لجأ إلى نفطة وتوزر بعد دخول الفرنسيين الأغواط سنة 1853م، حيث اتخذها منطلقاً لشن هجومات على الفرنسيين في الجزائر، كما نجد الشّيخ إبراهيم بن أحمد الكبير الذي انضمّ إلى مقاومة الأمير عبد القادر حيث لعبت زاويته دوراً بارزاً في دعم المقاومة الجزائرية من خلال جمع الأموال والأسلحة وتقديمها للجزائريين، كما تحولت إلى تجمع للثّوار[2]، وهو مؤسس الزّاوية القادرية بنفطة، حيث بدأ منذ سنة 1830م معارضاً للاحتلال الفرنسي بالجزائر، حيث عملت القادرية على تحريض سكان الجريد التّونسي و قبائل النّمامشة على الالتحاق بصفوف المقاومين. [3]

وبعد هجرة محمد بوعلاق اليعقوبي من أولاد يعقوب الأغواطيين إلى تونس خلال عقد الأربعينيات و بالأخص بعد أحداث ثورة الزّعاطشة عام 1849م، تعاون مع الكثير من المهاجرين الجزائريين ضد جيش الاحتلال الفرنسي خاصة بن ناصر بن شهرة و الشّريف محمد بن عبد الله و محي الدّين بن الامير عبد القادر و كان مستقراً بعائلته ببلدة نقة غرب قبلي وكانت عائلته تتوارث زعامة قبائل نفزاوة ونازعها أحمد بن حمادي الشّداد وتغلب عليها واضطهد الكثير من أفراد عائلة بوعلاق و سجن الكثير منهم بقفصة ومات عدد منهم في السجن و قبض الباي على محمد بوعلاق وسجنه كما فعل مع بن ناصر بن شهرة ومحمّد الكبلوتي من قبل، ثم خلفه ابنه علي بن محمّد بوعلاق الذي اضطهده بن الحمّادي وأدخله السجن وبقي به حتى احتلال تونس عام 1881م، وبعد إطلاق سراحه أعلن تمرّده وعصيانه مع عدد من رفاقه وعائلته في عدة غارات على القوات الفرنسية في الشّمال التّونسي حتى

---

[1]– يوسف بن حيدة: **التواصل الطّرقي بين الجنوب الشّرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م**، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10–11 نوفمبر 2013م، ص 8.

[2]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 10.

[3]– التليلي العجيلي: **الطّرق الصّوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التّونسية (1881–1939م)**، د. ط، منشورات كلية الآداب، منوبة، مج2، 1992م، ص 78.

إلى أسوار الكاف، و اشترك معهم الهمامة كذلك وهاجموا قوافل الإبل وكتائب القوم القادمين من الجزائر في منطقة الحدود، و بعد فشل المقاومة هاجر علي بن محمّد بوعلاق وقومه إلى طرابلس.[1]

وعند لجوء محي الدّين بن الأمير عبد القادر إلى تونس في شهر أكتوبر 1870م استقبل استقبالاً حافلاً وكرّم يوم 18 نوفمبر 1870م من قبل الباي التّونسي، فاغتنمها فرصة ووجه مائتي رسالة إلى زعماء المقاومة الشّعبية في الجزائر يدعوهم فيها إلى تنظيم الصّفوف والاستعداد لمحاربة العدو عند قدومه إليهم من تونس[2]، كما التف حوله عدد كبير من اللاجئين الجزائريين و المنفيين إلى تونس و على رأسهم بن ناصر بن شهرة و غيره لاستئناف الجهاد من جديد .[3]

رابعاً: السّياسة الفرنسية لقمع حركة الثّوار (بين الجزائر و تونس).

1- ترسيم الحدود وتقييد حركة التّواصل:

عملت فرنسا على وضع مشروع رسم الحدود للمجالين التّونسي و الجزائري الفرنسي لقمع حركة المقاومين و نشاطهم بين تونس و الجزائر، و الهاجز الأمني الذي ارتبط بواقع المنطقة الحدودية في الفترة الممتدة مابين 1830 – 1881م و الذي كان سببا وراء التّدخل الفرنسي في المجال التّونسي لفرض خط فاصل على المناطق الحدودية لتقييد التّواصل بينهم.[4]

قامت السّلطات الفرنسية بإثارة مسألة الحدود بين المجال التّونسي و المجال الجزائري، إذ حاولت ربط علاقات تحالف مع البلاط الحسيني للاستعانة به لفرض سيطرتها على المجال الجزائري المتاخم لمجال الأيالة التّونسية، حرصاً على أهمية التّعاون معه لتسهيل عمليات إلحاق المقاطعات المتاخمة لمجالها (منطقة قسنطينة وسوق أهراس) من خلال الحد من نفوذ القبائل الحدودية الجزائرية في ظل إنعدام حواجز تضبط تحركاتها و هو ما عبرت

---

[1]– يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السّابق، ص 526.

[2]– التليلي العجيلي: **الطّرق الصّوفية و الاستعمار الفرنسي**، المرجع السّابق، ص78.

[3]– يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص 529.

[4]- رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 9.

عنه المعاهدة التي وضعت بين سنتي 1830 – 1831م، بين السّلطات الفرنسية المتمثلة في الجنرال كلوزيل و الأيالة التّونسية المتمثلة في حسين باشا باي تونس، لكنها مالبثت إلا أنها باءت بالفشل بعد أن رفضت سلطات الحكومة الفرنسية الموافقة على نص المعاهدتين المتعلقتين بقسنطينة ووهران، فوضعت السّلطات الفرنسية حد للتّعاون الحسيني معها وسعت لفرض نوع من النفوذ عبر تأمين تواجدها في الموانئ و ما حولها.[1]

و في سنة 1843م، سعت السّلطة الفرنسية إلى وضع خارطة جغرافية للصّحراء الجزائرية للفصل بينها وبين الدول المجاورة نتيجة لعفوية حركة تنقل الأشخاص و الذي بات يشكل هاجساً أمنياً و اقتصادياً على تواجد الفرنسيين بهذه المناطق، حيث نشر الرائد "دوماس" أول خارطة للصّحراء الجزائرية بإشراف الجنرال "بيجو"، حيث عينت فيها الحصون و الأبراج العسكرية المشرفة على التل و الصّحراء و حددت حدودها الجنوبية بخط منكسر يمر عبر نفطة، وادي سوف، ورقلة، عين صالح، و في عهد الماريشال "راندون" الذي وصف عفوية التّنقل بين الأعراش والقبائل الحدودية بحالة الانصهار التّام معتبراً أن الخط الحدودي بين الجزائر و تونس الذي ساهم في إنجازه بين 1843 –1845م، لم يكن في الواقع سوى حدود وهمية لا حقيقية، لأن كل الجهات مفتوحة والأشخاص المرتحلون يستقرون في أي منطقة دون مراعات للحدود، و نتيجة للهجرة والتّجارة غير القانونية و خاصة تجارة البارود وتشارك الجزائريين و التّونسيين في مقاومة الفرنسيين، وظاهرة الهجرة غير القانونية وتضييق الخناق على المقاومين المعارضين للفرنسيين و تشديد الرّقابة عليهم.[2]

لقد حرصت السّلطات الفرنسية مع السّلطات التّونسية لترسيم الحدود بين الجزائر والأيالة التّونسية، حيث أن هناك أشغالاً طبوغرافية قام بها الفرنسيون سنة 1842 حتى 1845م، إنتهت لرسم خريطة وافق عليها أحمد باي في أواخر 1845م أثناء زيارته لباريس.[3]

[1]– إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص ص 37– 38.

[2]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 11.

[3]– إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 38.

أما عن موقف الجزائريين لم تجد فرنسا صدى رغم تطميناتها للسّلطات التّونسية لضبط الحدود التّونسية الجزائرية، وهو ما عبر عنه السيد علي اللّيقرو قبطان الصّبايحية يوم 17 جويلية 1852م في كتابه إلى السيّد قضوم بن محمّد قايد ماجر والفراشيش والذي جاء فيه : ((كان بلغنا أنّ جوابكم و ذكرتم لنا فيه أن الأوجاق مستوية و الوطن في مثل وطن واحد فلتعلم يا محبنا هذا الكلام عندما يكون إلاّ باللسان في الطّاعة والإتّباع...))، و بقيت فرنسا تتبع سياسة فرق تسد بين القبائل الحدودية من خلال تحريضها حوادث الإغارة و السّرقة بين الطّرفين و هذا ما ولد حالة اللاأمن بين الطّرفين، ((حيث كانت تحرض حاكم تبسة على إجلاء قبائل الفراشيش من مناطق معينة للفت انتباه السّلطات التّونسية و الضّغط عليها من أجل ترسيم الحدود، و حرّضته حتّى لمنع دخولهم إلى مجال الجزائر فرنسية))، إلاّ أنّ قياد الفراشيش كانوا يرفضون الامتثال للأوامر الفرنسية فيما يخص الحدادة و هو عبارة على أسلوب لإبداء عدم الرضى حول الحدود التي تريد السّلطات الفرنسية فرضها، كما ساعد قائد الفراشيش الهمامة الساكنين بقرب فريانة.[1]

2- تقنين الحركة التّجارية:

كانت القبائل الحدودية التّونسية و الجزائرية متعاونة في المجال الاقتصادي وخاصة النّشاط التّجاري و الزّراعي و كانت ظاهرة التّويزة[2] خير دليل على حالة التّضامن بين أفراد القبائل المجاورة التي تنشط في المواسم الزّراعية و في فصل الحرث كما كانت المبادلات التّجارية نشطة بينهم و خاصة سوق تبسة الذي كان يستقطب التّجار التّونسيين.[3]

ركّزت السّلطات الاستعمارية اهتماماتها التّجارية في الصّحراء الجزائرية، التي كانت حاضرة منذ بداية توسعاتها نحو الجنوب الجزائري، و قامت بإحداث تغيرات بخصوص تشديد المراقبة و التّفتيش و إنشاء أبراج عسكرية و التعقيدات الجمركية ومنع السفر إلاّ برخصة و مراقبة الأنشطة التّجارية بين المنطقتين، إذ ارتفعت الأسعار نتيجة نقص المواد الغذائية،

[1] – إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص ص 40– 46. للمزيد ينظر: للملاحق 3 ص104، 4 ص105.

[2] – هي حالة تضامنية موسمية بين أفراد المجتمع القبلي، و يشترك في إنجازه مجموعة من الأشخاص بطريقة تطوعية. ينظر: نفس المرجع، ص 143.

[3] – نفس المرجع، ص ص 143– 151.

و فرضت ضرائب على السّلع المتبادلة بين المنطقتين الأمر الذي نتج عنه انتعاش تجارة التّهريب كحل لإنقاذ الأسواق المحلية من لهيب الأسعار. [1]

و السّبب الذي كان وراء السّيطرة الاستعمارية على حركة التّبادل التّجاري هو لسد المنافذ أمام تطور المقاومة الشّعبية بالتّخوم الجزائرية – التّونسية و فرض حصار على أسواق السّلاح (البنادق البارود السّروج و ألجمة الأحصنة و البغال و الجمال) ضدّ بوشوشة و أنصاره التي كان مصدرها مالطة تونس بواسطة التّجار اليهود المالطيين والإيطاليين في موانئ صفاقس و سوسة و نابل و غيرها، و التي كانت تجد طريقها إلى الجزائر عبر نفطة ثم وادي سوف، تقرت ثم إلى بقية مناطق الجنوب الشّرقي الجزائري.[2]

إضافة إلى تقييد حركية التّبادل التّجاري عملت السّلطة الاستعمارية على مصادرة الأراضي الفلاحية بالنسبة لبعض القبائل الحدودية و التي تضمنها قانون الأهالي سنة 1871م، كما تم إجبار الأشخاص الممارسين للنّشاط الفلاحي إلى الحصول على رخصة القيام بنشاط فلاحي من السّلطات الاستعمارية، وهذا بعدما يتم دفع ضريبتي الحكر الخّاصة بالخّاصة بالحرث، و الغريب الخاصة بالرّعي.[3]

تلقت الحكومة الفرنسية الموافقة من قبل السّلطات التّونسية، التي كانت بدورها تراقب الطّرق التّجارية عبر عمالها في الجهات من أجل زجر المخالفين، كما أصدرت أيضاً أوامر إلى القياد لمنع أو تحجير نوع من التّجارة مع الغرابة في سنة 1873م ومنعت تجارة الموانئ و بيعها في أسواق الغرب.[4]

3- ملاحقة المقاومين الجزائريين على الأراضي التّونسية:

تعد تونس قبل و أثناء احتلالها الملجأ الآمن للمقاومين الجزائريين و أهم قاعدة خلفية للتمويل و الدّعم للمقاومة الجزائرية، حيث استغل اللاجئون و المنفيون الجزائريون تواجدهم بتونس لإعادة تنظيم الصّفوف و جمع الأتباع و الأنصار للقيام بهجومات على الفرنسيين

---

[1]- رضوان شافو: "انعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 12.

[2]- رضوان شافو: **مقاومة منطقة تقرت و ما جاورها للاستعمار الفرنسي 1844 – 1875 م**، (مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر)، جامعة الجزائر، 2007، ص 139.

[3]- رضوان شافو: "انعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 12.

[4]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 155.

داخل تونس و على بعض المواقع الحدودية الجزائرية القريبة من تونس، الأمر الذي أقلق السّلطات الفرنسية حيث قدّم القنصل الفرنسي لابلاس La Blace شكوى إلى المشير أحمد باي مفادها((أن مجموعة من الجزائريين كانت تتعقبهم السّلطات الفرنسية دخلوا إلى تونس من منطقة كاف الطّبول ومن بينهم صالح بن دالي طالباً منه تعقب هذه المجموعة و إلقاء القبض عليهم)).[1] لأنهم أصبحوا يشكلون خطراً على الحدود التّونسية الجزائرية، لذلك أعطت السّلطات الاستعمارية التّعليمات للقنصلية العامة من تونس لمراقبة هؤلاء المهاجرين. [2]

كانت السّلطات العسكرية الفرنسية بالجزائر تراقب عن كثب تحرّكات المهاجرين المقيمين بالمناطق الحدودية لإيالة تونس، خوفاً من أحداث الشّغب التي تتسبب فيها عند توغلها من جديد في التّراب الجزائري، وفي هذا الإطار تكفّل قنصل فرنسا بتونس بإعلام البايات الحسينيين بضرورة التّعاون بين البلدين للتصدّي لحركات القبائل الثّائرة، إلاّ أنّ موقف محمّد باي كان غامضاً تجاه هجرة الجزائريين إلى الإيالة التّونسية، فهو من ناحية لا يستطيع تسليم كل من لجأ إليه و احتمى به، بينما تعهّد بطرد كل من أبدى استعداداً لإحداث الشّغب، ولم يقم بتنفيذ قرار فرنسا المتمثل في إبعاد الجزائريين عن المناطق الحدودية، إلاّ أنّ مع مجئ الصّادق باي تعهّد بتطبيق مقترحات فرنسا و إبعاد القبائل الجزائرية عن الحدود وهي 300 خيمة بالرّقبة وبحيرة الكاف، وهو بهذا الفعل سوف يؤدي إلى وضع حداً لظاهرة الهجرة وتقييد نشاط المقاومين.[3]

لم تكتفي الإدارة الاستعمارية بمصادرة الأراضي وتضييق الخناق على القبائل الجزائرية فحسب، بل سلكت سياسة عنف ممنهج تمثل في التّجويع الجماعي وسياسة الأرض المحروقة و إتلاف المحاصيل ومصادرة المواشي، وقد ذكر ذلك أحد الضّباط الفرنسيين: ((لقد خلقنا في طريقنا حريقاً مهولاً، جميع القرى التي تعد حولي مائتي قرية قد أحرقت، وجميع البساتين بما فيها من أشجار مثمرة قطعت)) وهو ما يؤكد فظاعة ووحشية الاحتلال تجاه القبائل الجزائرية.[4]

---

[1]– رضوان شافو: "انعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 12.

[2]– نادية طرشون: المرجع السّابق، ص 216.

[3]– عبد الكريم الماجري: المرجع السّابق، ص ص 101– 102.

[4]– إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 28.

وإقترحت الحكومة العامة للجزائر فتح تحقيق من طرف المراقب المدني بتونس بخصوص 103من السّوافة الموجودين بتونس والذين كانوا قد سووا وضعيتهم بها لفترة، وأن تقوم بعد انتهائها باتخاذ إجراءات ضدّهم أي إرسالهم إلى الحدود، كما أعطيت أوامر لسياق هؤلاء إلى الجزائر في أقرب وقت.[1]

و من بين الشّخصيات الجزائرية التي أقلقت السّلطة الفرنسية نجد الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر بالزّيبان و الصّحراء الشّرقية، فقد جاء في رسالة أرسلها إلى الباي حمودة باشا ناصحاً له فيها قائلا: ((... كن فطناً لبيباً عاقلاً، و أنظر عاقبة الأمور من جانب الكفرة، و لا تظنّ ودّهم من جانب الحب، بل من جانب المكر و الخديعة لا غير و ما شغلهم عنكم إلاّ نحن و لولا نحن لرجعوا إليكم، وهانحن مشغولون إلاّ بهم و أنتم منّا و إلينا و الحب بيننا ولا حق ينفك أبداً و السّلام معاد عليكم)).[2]

بالإضافة إلى شخصية الشّريف محمّد بن عبد الله بتونس الذي متن علاقاته بكثير من اللاجئين الجزائريين، و أخذ رفقة ناصر بن شهرة يشنون الغارات على الأعوان الفرنسيين داخل الحدود الجزائرية و كثيرا ما كان يشاركه في هذا العمل مقاومون لاجئون آخرون، خاصة محمّد بوعلاق اليعقوبي[3]، فتضايقت السّلطات الفرنسية و التّونسية من هذه الهجومات و أمرت بطردهم و استخدام القوة ضدّهم و هذا ماتؤكده مجموعة من الرّسائل أهمها رسالة من المشير أحمد باشا باي إلى قنصل فرنسا بتونس و المؤرخة في سنة 1854م و التي جاء فيها: ((... فإنّ رجلاً من تلمسان اسمه الشّريف محمّد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، و أمرنا بطرده و إبعاده، وعدم قبوله ...أغار على الفطارية من رعيتنا مابين نفطة و توزر، وأخذلهم قدر ثلاثين بعيراً ووقعت بينهم القتلى و الجرحى و هو من القائمين على الحكم بالجزائر، فأردنا أن نغصبه على البعد من عمالتنا تحفظاً من فتنته و نخلص منه ما أخذه، وإن لم يبعد أذن بحربه، فأعلمناكم ليكون ذلك على ذكركم، فإننا لا نأوي الظّالمين

---

[1]- A.N.T: C. A, B. 278, F.7, D. 12.

[2]- رضوان شافو: "انعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص12.

[3]- ثائر تونسي شارك في المقاومة الشّعبية بوادي سوف و الصّحراء الشّرقية الجزائرية و هو رئيس أولاد يعقوب المتمرّدين على السّلطة التّونسية. ينظر: علي غنابزية: **المقاومة الشّعبية بوادي سوف**، المرجع السّابق، ص 7.

في عمالتنا، و لو يصدر منهم ضرر في عمالتنا أحرى مع الضرر. ودمتم في أمن الله تعالى)). [1]

كما كاتب في رسالة أخرى إلى القنصل العام الفرنسي بتونس يخبره فيها بشأن طرد أحمد رزوق و من معه من عمالتهم، و بشأن محمد بن القاضي الذي بنفزاوة قال عنه في نص رسالة:((فإننا نخاطب عامل الجريد بأن يخاطبه بالرّحيل إلى دواخل العمالة، و البعد عن شبه العناد، و إلا يخرج من عمالتنا و دمت في أمن الله)). [2]

إضافة إلى شخصية ناصر بن شهرة الذي كان متنقلاً بين واحات ورقلة و وادي ريغ ووادي سوف و الجريد التّونسي، حيث متن صلاته باللاجئين الجزائريين و بعض من التّونسيين الذّين نسّق معهم المقاومة ضد الفرنسيين أبرزهم، محمّد بوعلاق اليعقوبي، الأمر الذّي كان يقلق السّلطات الفرنسية، حيث راسلت الباي التّونسي في رسالتين: الأولى كانت من قنصل فرنسا بتونس إلى المشير الصّادق باي تونس في 31 أكتوبر 1860م يعطي الإذن فيها بإلقاء القبض على ناصر بن شهرة الذي قام بغارات على دواوير أولاد رشيش أما الثّانية فكانت من الحاكم العام بالجزائر إلى قنصل فرنسا بتونس المؤرخة في 28 أكتوبر 1860م جاء فيها:((نعرف جنابكم بأنه بلغ لي مكتوب بتلغراف من الجنرال حاكم عمالة قسنطينة هذا نصه بلغني أنّ جماعة ناصر بن شهرة بعد أن غزا السّوابد واتجه بجهة الشّرق و نزلوا على دواوير أولاد رشيش النازلين في وازرن و غزوهم و بلغني هذا الخبر إجمالاً و لم يبلغني تفصيل عن ذلك)). [3]

فالسّلطات الفرنسية بالجزائر كانت ترغب في عدم رجوع من غادر الجزائر وبقائه بالإيالة، بينما سعى قنصل فرنسا بتونس لمساعدة كل من أراد الخروج من إيالة تونس متهماً السّطات الفرنسية بالجزائر بالتّساهل في إسناد رخص السّفر ممّا أدّى إلى ارتفاع عدد المحميين الذّي ناهز سنة 1865م، قرابة 1200 شخص، كما ذكر القنصل أن هناك 800 شخص قد تحصلوا سنة 1865م على شهادة حماية دون أن يكون هناك مبرر. [4]

---

[1]- رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص ص 12- 13.

[2]- نفس المرجع، ص 13.

[3]- نفسه.

[4]- عبد الكريم الماجري: المرجع السّابق، ص ص104- 105.

وإثر اشتداد تعاون الجزائريين و التّونسيين و كثرة اقتنائهم للأسلحة داخل الجزائر تخوف الفرنسيون كثيراً و توقعوا نشوب معارك و اضطرابات و انتفاضات فحشدوا ثلاثة ألف جندي في مدينة تبسة قرب الحدود و وضعوا مشروعاً لاكتساح كافة مناطق عمالة قسنطينة إلى منطقة القيروان بتونس لتتبع المقاومين و تقضي على نشاطهم [1]، كما فرضت الحكومة الفرنسية تنفيذ مراقبة واسعة للإقليم القسنطيني وجيرانه توزر و قبلي، وأن تكون هذه المراقبة مباشرة من طرف قوات بالواد، كما كانت على اتصال بالواد وتبسة حتى تكون على علم بتحركات الدوريات التي خصصت في نطاق التّقاطع الحدودي بين الجزائر وتونس.[2]

ونجد أيضا محمّد الكبلوتي كان يقوم بنشاط ثوري في منطقة الحدود ضد جيش الاحتلال الفرنسي، كما اشترك في عدّة معارك من ضمنها معركة 24 جوان و معركة 30 أوت 1871م، التي استشهد فيها شقيقه الفضيل بن رزقي وبقي محمّد الكبلوتي يتردد بين تونس والجزائر حتى تم طرده من تونس بصفة نهائية عام 1872م مع بن ناصر بن شهرة، وقامت السّلطات الفرنسية بالجزائر بالضّغط على الحكومة التّونسية لاعتقاله، وقامت هذه الأخيرة بتكليف مراقبين للبحث عنه إلاّ انّه فرّ إلى مالطا وعاد منها سراً إلى تونس فرجعت العيون تترصده من جديد فاضطرّ أن يغادر تونس مرة ثانية.[3]

كما كانت السّلطات الفرنسية تسعى إلى دفع البايلك للقبض على المحرّضين وذلك من خلال اخبار السّلطات التّونسية بأماكن اختفائهم حيث أعلمت بأن نفراً يدعى الشّريف محمّد مزيان بن عبد الرّحمان في سن الثلاثين يسعى بتحريض السّكان في عمالة الجزائر و فرّ منها بزوجته و أخيه و نزلوا في زاوية سيدي إبراهيم بن أحمد بقرب نفطة و فرّ معهم 15 رجل و 8 نسوة و إنهم يترددون مابين نفطة و توزر.[4]

وبما أن السّلطات الفرنسية بالجزائر أصبحت منذ بداية السبعينيات تسعى إلى وضع حد لظاهرة الهجرة غير الشّرعية، والتّعاون الثنائي الفرنسي والتّونسي لوضع حد لحركة القبائل

---

[1]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 13.

[2]– A.N.T: C. A, B. 279, F. 17, D. 01.

[3]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص 532.

[4]– إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 32.

الحدودية وتنقلاتها عبر المجالين أصدر الباي التّونسي أمراً في 6 أفريل 1874م منع فيه دخول الجزائريين إلى إيالة تونس بصفة غير قانونية ووزع هذا القرار على كل من عامل الكاف والرقبة وإلى المكلف بمروش ونيفة و إلى عامل الجريد و إلى عامل الفراشيش وعامل ماجر، كما طالبت السّلطات التّونسية بغلق الحدود أمام القبائل التّونسية التي أرادت التّهرب من دفع المجبى، إلاّ انّها فشلت، حيث تمكّن أولاد وزار من الفراشيش و أولاد عزيز من الهمامة تجاوز الحدود الجزائرية والدّخول إلى التراب الجزائري، وبالتّالي فإنّ قرار منع الهجرة غير شرعية لم يضع حداً لحركة السّكان.[1]

كما لاحقت فرنسا الجزائريين الفارّين إلى تونس وكلّفت مراقبيها تتبع تحركاتهم و التّعرف على جنسياتهم أمثال البشير بن شريف علي بن إبراهيم و أخوه عبد الرّزاق الموجودين في نفطة، حيث تم إكتشافهم أنهم ليس منتسبين إلى هذه النّاحية.[2]

كما نبّهت أيضاً على تزايد عدد الجزائريين بتونس وهو ما أكدّه القنصل الفرنسي روسطن في رسالته إلى الوزير الأكبر بتاريخ 21 سبتمبر 1879م و التي جاء فيها قوله:((أنّه يوجد بالعمالة التّونسية أيضاً مقدار وافي من المفسدين من أهل الجزائر...))، خاصة بعد أن بات البعض منهم يحرّض القبائل الحدودية على ضرب المصالح الاستعمارية في الجزائر. [3]

3-إنشاء الأبراج و الثّكنات العسكرية للتفتيش و المراقبة:

نظراً لنشاط المقاومين المكثّف عبر الحدود التّونسية الجزائرية، وبعد أن تم احتلال جهة الجنوب الشّرقي الجزائري في كل من منطقة الزّيبان و ورقلة و وادي ريغ و وادي سوف، و مع انعدام استقرار الأمن بهذه المناطق نتيجة للمقاومات الشّعبية، سارعت السّلطات الاستعمارية إلى إنشاء أبراج عسكرية في بعض المناطق الإستراتيجية الرّئيسية و التي تتحكم في مرور القوافل التّجارية من جهة، و تضمن الأمن للمعمرين الفرنسيين والأوربيين وتسمح لهم بالتصدّي لمقاومة سكان الصّحراء من جهة ثانية، و منه بسط نفوذه على الشّريط الواقع

[1]- عبد الكريم الماجري: المرجع السّابق، ص ص 109- 110.

[2]- A.N.T: C. A, B. 279, F. 10, D. 204.

[3]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 32.

ما وراء الأطلس الصّحراوي، ومن أبرز الأبراج العسكرية على الحدود الجنوبية الجزائرية التّونسية و خصوصاً مابين وادي سوف و الجريد التّونسي نجد "برج الدبيلة"[1] التي تم اختيارها لقربها من الحدود التّونسية فكانت المركز الأوّل للإستقرار الفرنسي بوادي سوف حتى تبقى المقاومة مطوّقة و ترتبط بين الحاكم العام بالجزائر و سلطات الحماية الفرنسية بتونس[2]، و كذلك "برج الحاج قدور" و "برج العدل" و"برج شوشة اليهودي"، أمّا بخصوص مابين تقرت و وادي سوف نجد: "برج مقيلتة" و "برج الفرجان" و "برج أمهت القايد"، و نجد مابين بسكرة و وادي سوف "برج الشقة" و "برج مقيبرة" و"برج الحمراية" و "برج المنادي" و "برج بوشحمة" و "برج المجير"[3].

أمّا من جهة الجريد التّونسي أنشأت الحكومة التّونسية مجموعة من الأبراج العسكرية على الشّريط الحدودي بين الجزائر و تونس، وهذا بسبب الضّغوطات و التهديدات الفرنسية على الحكومة التّونسية بملاحقة الجزائريين الفارّين خاصّة لمّا ظهر دعاة جزائريون و تونسيون في واحات وادي سوف و وادي ريغ يحثون النّاس على حمل السّلاح لمقاومة جيش الاحتلال الفرنسي و على تقديم العون للمقاومين التّونسيين بتونس، فاضطرّت السّلطات الفرنسية إلى مراقبة و حراسة شديدة على منطقة الحدود من القالة و عنابة شمالاً إلى ما وراء تبسة جنوباً وبث عملائها في الواحات الجنوبية ليتصدّوا لهؤلاء الدّعاة النّشطين[4]، كما دفعت عملائها وجواسيسها لإثارة المشاكل على التّونسيين لتجد فرصة للتدخل وضغطت على الحكومة التّونسية حتى أرغمتها على تنظيم لقاء معها في " ذراع خرون" للفصل في تلك المشاكل التي أثارها عملائها[5] وخضوعاً للضغوطات الفرنسية قامت الحكومة التّونسية سنة 1847م، في عهد المشير أحمد بوضع أربعة قطع مدفعية بمدينة الكاف لتشديد الرّقابة العسكرية و في عهد

[1]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 13.

[2]– علي غنابزية: **المقاومة الشّعبية بوادي سوف**، المرجع السّابق، ص 11.

[3]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 13.

[4]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص 328.

[5]– رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 13.

الباي محمّد الصّادق(1859 – 1881م) تم إصلاح بناء بعض الأبراج و الثّكنات العسكرية.[1]

غير أنّ فشل الحكومة التّونسية في إيجاد حل أمني على المناطق الحدودية وخصوصاً في ترويض القبائل الحدودية المعارضة للبايات التّونسيين، و الذّين شاركوا إلى جانب الجزائريين في مقاومة الاحتلال الفرنسي دفع بالسّلطة الاستعمارية إلى احتلال تونس سنة 1881م وإخضاع هذه الأبراج العسكرية لسلطة الفرنسيين بمقتضى معاهدة الحماية، وأنشأت فرق خاصة على طول المناطق الحدودية لتشديد المراقبة على امتداد 120 كلم، وأهم هذه الأبراج العسكرية بمنطقة الجريد التّونسي نجد: برج قرباطة "على الطّريق بين قفصة و المتلوي"، برج القويفلة " قرب توزر و الطرفاوي"[2] ، برج العسة، برج ناظور السبع، برج الحميمة، برج حيدرة، برج النّفيضة[3]، حيث شارك سكان المناطق الحدودية في تحمل نفقات بناء الأبراج و الثّكنات. [4]

5- الضّغط على الحكومة التّونسية للتضييق على التّونسيين المساندين:

رغم حالة التّضييق و المطاردة التي كانت تفرضها السّلطات الفرنسية على المقاومين الجزائريين الفارّين ومن يوفّر لهم الحماية هذا خلق جو من القلق لدى السّلطات الفرنسية، ودفع بها إلى مراسلة البايات التّونسيين فقد جاء في شكوى من القنصل الفرنسي لابلاس La Blace إلى المشير أحمد باي مفادها ((... تذكر قايد الفراشيش بعدم إستقبال و إيواء الفارّين الجزائريين و طردهم من منطقتهم إن حلوا بها)). [5]

---

[1]- نور الدّين صحراوي: **المراقبة الفرنسية للحدود الشّرقية و تأثيرها على التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس 1881 – 1954 م، من خلال الوثائق الأرشيفية**، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس، جامعة الوادي، يومي 10 و 11 نوفمبر 2013 م، ص 8.

[2]- نور الدّين صحراوي: المرجع السّابق، ص9.

[3]- رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص ص 13- 14.

[4]- نور الدين صحراوي: المرجع السّابق، ص 9.

[5]- رضوان شافو: "إنعكاسات السّياسة الاستعمارية"، المرجع السّابق، ص 12. للمزيد انظر للملحق رقم 5، ص106.

و من بين الرّسائل التي تبين إستياء السّلطات الفرنسية من التّونسيين المساندين للمقاومين الجزائريين، التي جاءت من طرف وكيل الدولة التّونسية من عنابة يوسف اللّيقرو في رسالة إلى الوزير الأكبر خير الدّين في 21 فيفري 1874 م يخبره فيها: ((و ما نخبر به سيادتكم العلية أنّ السّيد الجنرال بعنابة توجّع من ناس العمالة التّونسية في شأن ترحيبهم بالنّاس الذّين... فرّوا من العمالة الفرانساوية الذي... أخبرتم عنهم قبل هذا و بلغه أنّه خمسون فارساً من العمالة المنصورة عرضوهم و فرحوا بهم كثيراً)) .[1]

و نرى أن السّلطات الفرنسية أثّرت على الرّسميين التّونسيين من ناحية قبولهم بمنع الشّعب التّونسي من منح يد العون لإخوانهم الجزائريين، حيث قام المشير أحمد بتنبيه المشايخ والعروش التّونسية من خلال مراسلة الجهات الحدودية في سنة 1847 م يقول فيها:((... فبادرنا إلى تحذيركم إذا أتاكم أحداً منهم أو من غيرهم من عروش الغرب لا تقبلوه بناحيتكم و أطردوه غصباً و لو بالضرب و إياكم أن يمدّ أحدكم يده في شئ من المحاربة أو يتوجّه إلى ناحية وإذا بلغنا وإنّ أحدكم مدّ يده في حرب أو أوى أحد من عروش الغرب أولاد يحي أو غيرهم لا نعاقبهم عن ذلك إلاّ بالقتل و الأخذ حيث خالفتم وهذا يؤدي إلى إزالة العافية و إيقاد نار الفتنة في... الأمة المحمّدية فكفول السّفهاء منكم و ضعفاء العقول فإنّ العقوبة تعم البرئ و المجرم فأحذروا فتنةً تفضي إلى تلفكم فإنّ بيننا و بين دولة الفرنسيين المحبّة و الموافقة و المجاورة فإياكم و مخالفة ما أمرنا به، نحن حذرناكم ومن أنذر فقد أعذر والله يصلح أحوال بلاده...)).[2]

و في سنة 1871 م إثر ثورة المقراني بالجزائر ألحّت السّلطة الفرنسية في الاحتجاجات على باي تونس وفي التهديدات المتوالية زاعمة تارة بأن أعراب تونس يوالون الإغارات على التّراب الجزائري و أنّها ستضطر إلى تتبعهم داخل التّراب التّونسي إذا عجزت الحكومة التّونسية على ردعهم و مطالبة تارةً أخرى بالقبض على من سمّتهم بالثّوار الجزائريين الملتجئين إلى تونس، و امتثالاً لرغبة فرنسا نفذّت حكومة الباي الأوامر وطردت من بلادها

[1]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 33. للمزيد انظر للملحق رقم 6، ص107.

[2]- نفس المرجع، ص ص 33- 34.

سنة 1875 م النّاصر بن شهرة و الكبلوتي الملتجئين إلى تونس من بقايا رجال ثورة 1871 م الجزائرية.[1]

فالسّلطة العليا بتونس كانت غير قادرة على تنفيذ تعهداتها، لعدم وجود أيّ قوة عسكرية على الحدود، كما أن سلطة الباي على القبائل، كانت سلطة اسمية، فإذا احتضنت قبيلة تونسية قبيلة لاجئة فإنّه من الصّعب على الباي التّدخل و إجبارها على العودة من حيث أتت أو نزع أسلحتها، كما أكّد قنصل فرنسا بتونس على أن مساعيه لم تتم في تونس ولم تستجب السّلطة التّونسية لمطالبه بالتّهجير والتّصدي للكبلوتي والصّبايحية والحنانشة و أولاد خليفة لإتباعها"سياسة الباب المفتوح" للوافدين من البلدان المجاورة، وقامت فقط بترحيل الكبلوتي في اتّجاه المشرق.[2]

وهكذا فإنّ الحكومة التّونسية كانت تضطر تحت الضّغط الفرنسي ملاحقة المقاومين الجزائريين و تقوم بطردهم بل و القبض عليهم و تسليمهم للحكومة الفرنسية من جهة، ومن جهة أخرى تنزع أرزاق التّونسيين الآوين لهم و تعذّبهم و تهددهم حتّى بالقتل مثل ما فعلت مع الشّيخ محمّد بن عبد الله المرزوقي الذي أشرنا إليه، بالرّغم من علم السّلطات التّونسية أنّ المقاومين الجزائريين مجاهدين يدافعون على وطنهم و أهاليهم و ليس مجرمون مثل ما سمّتهم فرنسا.

خامساً: موقف الجزائريين من احتلال فرنسا لتونس عام 1881م.

كان موقف الجزائريين معارضاً لفكرة الاحتلال الفرنسي لتونس، بمختلف طبقات المجتمع الجزائري، رغم أنّ هذا الاحتلال انطلق من بلادهم و كانوا يعتبرون البلاد التّونسية وطنهم الثّاني يلتجئون إليه عندما يطاردهم جيش الاحتلال من بلادهم ويرغمهم على الهجرة، وكانت فرنسا على علم بموقفهم لأنهم جرّبوا صمودهم و صلابتهم و عنادهم في المقاومة داخل الجزائر لمدة نصف قرن كامل، لهذا عملت على تحطيمهم تماماً بمختلف الوسائل والسّبل قبل دخولهم لاحتلال تونس، وحتّى يحموا ظهورهم كانت آخر ثورة مسلّحة ضدّهم

[1]– محمد المرزوقي: المرجع السّابق، ص 62.

[2]– عبد الكريم الماجري: المرجع السّابق، ص 106.

في شرق الجزائر المجاور لتونس ثورة سكان جبال الأوراس الغربية عام 1879م[1]، التي استعمل فيها جيش الاحتلال الفرنسي أقصى وسائل القمع ضدّ الثّوار فقتل الكثير منهم وشرّد الباقي وصادر أملاكهم بصفة جماعية و ضغطت قوات الاحتلال على حكومة تونس لتسليمهم زعيم الثّورة محمد أمزيان بن عبد الرّحمان ورفقائه الذّين التجئوا إلى تونس وكان عددهم أكثر من 50 شخص فحوكموا خلال عام 1880م وصدرت ضدّهم أحكام بالإعدام و السّجن المؤبّد والنّفي داخل البلاد وخارجها، و المصادرة الجماعية لأملاكهم العقّارية و المنقولة، كما فرضت مراقبةواسعة وشديدة على كل الجزائريين الذين يشكون في إخلاصهم ويتوجسون خيفة منهم حتى في غرب البلاد.[2]

ومن بين الأسباب التي ساعدت الفرنسيين على احتلال تونس هو إضعاف روح المقاومة في الجزائر و احتواء زعمائها الذّين لجئوا إليها، حتى تضمن بقائها في الجزائر التي تعتبرها ارض فرنسية بمقتضى القوانين والتشريعات الفرنسية المختلفة التي بدأت تصدر منذ عام 1834م.[3]

وما يبين مدى مساعدة الجزائريين لإخوانهم التّونسيين لمواجهة الاحتلال الفرنسي عام 1881م، حيث كان الجزائريين غاضبين من الاحتلال الفرنسي لتونس مثل إخوانهم التّونسيين لأنها تمثّل القاعدة الخلفية للتموين و الاستعداد مادياً وبشرياً وهذا كان طيلة السنوات المحصورة مابين 1830-1881م[4]، وتعاون الجزائريين مع إخوانهم التّونسيون في منطقة وشتاتة، و الفراشيش، و الهمامة، والجريد ونظموا حركة جهاد واسعة وكثّفوا من ثراء الأسلحة والبارود والخيول والجمال والأحصنة ولوازم الحرب الأخرى.[5]

لكنّ فرنسا ((قلّمت أظافر المقاومين الجزائريين و قهرتهم قبل انجاز حملة الاحتلال عام 1881م))، كما استخدمت كل وسائل القمع ضدّهم كما ذكرنا سابقاً. واعتقدت فرنسا

---

[1]- يحي بوعزيز: "دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية"، المرجع السّابق، ص ص 49- 50.

[2]- نفس المرجع.

[3]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص 324.

[4]- يحي بوعزيز: "دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية"، المرجع السّابق، ص 51.

[5]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية**، المرجع السّابق، ص 537.

بسياستها تلك أنّها سوف تمنع الجزائريين من المشاركة في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتونس، لكنّ خاب ظنّها وحصل العكس، إذ أعلن الجزائريين غضبهم على طول منطقة الحدود، وفي أعماق البلاد التّونسية وداخل الجزائر نفسها، وعرقلوا حركة الغزاة داخل تونس لتمكين إخوانهم التّونسيين من الكرّ و الفرّ و الضّرب بحرّية و بنفس طويل. [1]

ومن ابرز النّماذج عن هذه المقاومة: أنه خلال شهر جانفي 1881م وبينما الفرنسيون مستعدون لانجاز حملة الاحتلال على تونس قام سكان منطقة الحدود بعنابة وسوق أهراس بحملة واسعة لاقتناء الأسلحة و البارود وتعاون معهم الجزائريون اللاجئون بتونس خاصة عرش" وشتاتة"، وذلك تحسبا للمشاكل و استعدادا للحوادث المقبلة التي كانوا يتوقعونها، فتخوف الفرنسيون من ذلك وعملوا على مقاومة العملية و فرضوا على حكومة تونس ببارد و أن تضع حداً للتجارة بالأسلحة و البارود داخل تونس خاصة في أوساط الجزائريين و هددوها بالمعاقبة. وفي شهري فيفري ومارس من نفس السّنة لاحظت فرنسا كثرة اقتناء الجزائريين للأسلحة داخل تونس ونقلها إلى الجزائر فأنشأت فرق خاصة على طول منطقة الحدود لمقاومة العملية وحرضت عملائها لإثارة المشاكل مع التّونسيين لتتيح لها فرصة التّدخل فضغطت على الحكومة التّونسية وأرغمتها على تنظيم لقاء معها في "ذراع خرون"، للفصل في تلك المشاكل التي اثارها عملاؤها [2].

أما في شهر أفريل شارك الجزائريون اللاجئون بتونس مع إخوانهم التّونسيين في مقاومة الغزو الفرنسي في جزيرة طبرقة وجبال الخمير ورشتاقة والفراشيش وبني مازن. حيث استغل الجزائريون منطقة الحدود لإشاعة خروج الكبلوتي من سجنه بحلق الوادي في تونس و اخذوا يتسلحون ويكونون فرق وكتائب لاستئناف المقاومة التي قام بها عام 1881م مع صبايحية الزّمالات: بوحجار و الطّارف وعين قطار، فتخوف الفرنسيون من ذلك واجروا اتصالات سريعة مع حكومة تونس التي أكدت عدم صحة خروج الكبلوتي من سجنه. [3]

---

[1]– يحي بوعزيز: "دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية"، المرجع السّابق، ص ص 51–52.

[2]– نفس المرجع.

[3]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية** ، المرجع السّابق، ص ص327– 328.

وخلال شهر ماي سنة 1881م دخل عدد من المهاجرين الجزائريين من نفطة و نفزاوة إلى الجزائر بالأسلحة و البارود واستقروا بأولاد سلطان بالأوراس، وفي شهر جوان دخلت عدّة قوافل من الجزائريين محمّلة بالأسلحة و الذّخائر من تونس إلى الجزائر لتزويد زملائهم المقاومين ودعمهم، وتمكن الفرنسيون من اسر جملين محملين بكمية من البارود، وظهر دعاة جزائريون وتونسيون في واحات وادي سوف ووادي ريغ وتقرت حثوا الناس على حمل السّلاح لمقاومة جيش الاحتلال الفرنسي وعلى تقديم العون للمكافحين التّونسيين بتونس فاضطرت السّلطات الفرنسية إلى فرض حراسة شديدة على منطقة الحدود من القالة وعنابة شمالا إلى ما وراء عملائها في الواحات الجنوبية ليتصدوا لهؤلاء الدّعاة النّشطين الذين وصفتهم بالمشوشين.[1]

ورغم سياسة التّشتيت التي اعتمدتها فرنسا لقطع التّعاون بين المقاومين في كل من الجزائر وتونس إلاّ أنّ الجزائريين دخلوا إلى الجزائر بالأسلحة و اتصلوا بالمقاومين الآخرين وحدثوهم على انتصارات مجاهدي تونس في القيروان وصفاقس وعملوا على تحقيق تنسيق بينهم وشارك عدد من الجزائريين في معارك "وشتاتة" فأسر الفرنسيون البعض منهم وأرسلوهم إلى سوق أهراس لمحاكمتهم وتطبيق العقاب عليهم.[2]

وعندما كثرت مشاركة الجزائريين في المقاومة المسلحة بتونس وكثرة اقتنائهم للأسلحة داخل الجزائر تخوفت فرنسا كثيرا وتوقعت نشوب معارك و اضطرابات وانتفاضات فحشدت 13 ألف جندي في مدينة تبسة قرب الحدود خلال شهر جويلية من سنة 1881م ومنطقة القيروان بتونس لتتبع الثّوار والمقاومين و القضاء على نشاطهم، وتواصلت المساعدات بين الثّوار، حيث وفي شهر أوت من نفس السّنة كانت ظاهرة اقتناء الخيول والأحصنة بالأسعار المرتفعة في الأسواق لاستعمالها في مقاومة بوعمامة تضامنا مع المقاومين بتونس، إلاّ أنّ فرنسا أخضعت هذه العملية، كما حدثت تشويشات في المناطق الوسطى بسبب أحداث تونس وبوعمامة، وظهرعدد من الدّعاة والمبشّرين الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي في مناطق

[1]– يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدّولية** ، المرجع السّابق، ص ص327– 328.

[2] – يحي بوعزيز: "دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية"، المرجع السّابق، ص52.

متعددة بشّروا بهزائم الجيش الفرنسي في تونس وقرب خروجه وطرده منها ومن الجزائر، ومن بين الزّعماء الدّاعمين لهذه الحركة ابن ناصر بن شهرة والشّريف بوشوشة.[1]

وفي شهر سبتمبر من سنة 1881م، بلغ غضب الجزائريين أشده بسبب السّياسة الوحشية الفرنسية المطبقة في تونس، فنضموا عدة عمليات ومنها: في منطقة تبسة نظم الجزائريون عملية تزويد واسعة للمقاومين التّونسيين بالأحصنة في توزر ونفطة ونفزاوة ليستعملوها في المقاومة ضد الجيش الفرنسي، وكذلك في منطقة الشّعانبة والقليعة بالجنوب تجند النّاس للكفاح مع بوعمامة كرد فعل على الاحتلال الفرنسي لتونس وأعمال التّخريب التي يقوم بها. كما تم عودة بعض المقاومين الذين هاجروا إلى تونس بعد ثورة 1871م، حيث عملوا على تجديد العمل المسلح ويبدو أنّ عودتهم كانت بتنسيق مع المقاومين بتونس جزائريين و تونسيين.[2]

وهكذا كانت الجزائر معقلاً للاضطرابات والعمليات العسكرية طوال عام 1881م، كرد فعل على الاحتلال الفرنسي لتونس و للتأكيد على مدى تضامن الشّعب الجزائري مع الشّعب التّونسي وغضبهم من هذا الاحتلال، حيث شاركوا إخوانهم في حمل السّلاح في مختلف جبهات القتال شمالاً وشرقاً وغرباً وجنوباً رغم انعدام إمكانياتهم والمضايقات التي كانوا يعيشونها من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وهذا ليس فضلاً منهم بل هو واجب وطني ومصير مشترك، وهذه صورة حية للتضامن الكبير والوحدة التي كانت تربط بين الشّعبين.

[1] – يحي بوعزيز: "**دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية**"، المرجع السّابق، ص54.

[2] – نفس المرجع، ص55.

خلاصة الفصل

من خلال دراستنا نجد أن للمقاومة الجزائرية أثر كبير في تونس من خلال التّواصل بين القطرين، فلقد أحدث الوجود الفرنسي في الجزائر بدء من سنة 1830م قلباً للموازين في منطقة المغرب العربي، فقد اهتزّ النّظام الحاكم في تونس وتحتّم على القائمين عليه بالإسراع في إدخال إصلاحات على الجيش و الإدارة و المالية، كما اهتزّ الوضع الثّقافي بها و أعيد النّظر في نظام التّعليم كما تمّ إرسال بعثات إلى أوروبا.

كان سقوط الجزائر بمثابة المنبه القوي الذي أيقظ تونس من غفلتها، و لكنها كانت يقظة مؤقتة و سرعان ما استحوذ المحتل الفرنسي عليها، ورغم أنّ الموقف الرّسمي التّونسي من مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي كان سلبياً إلى أبعد حد لأنّه كان تحت الضّغط و التّهديدات الفرنسية، إلاّ أنّ الشّعب التّونسي فقد كان موقفه موقف المؤيد و المساند لكفاح الجزائري وقام بتقديم مساعدات مادية و معنوية للمقاومين الجزائريين رغم معارضة حكّامهم و التّضييق عليهم.

لقد مارست السّلطات الفرنسية مختلف أشكال الضّغط و التّضييق على نشاط المقاومين الجزائريين لقمع حركتهم الجهادية، ما دفع بهم للهجرة إلى تونس خلال سنوات (1832-1871م ...)، و من هنا بدأت تظهر ملامح و بوادر الالتحام و التّعاون بين الشّعبين الجزائري و التّونسي في النّضال ضد الاحتلال الأجنبي.

شكلت تونس القاعدة الخلفية و المرتكز الأساسي لتجمع الثوّار لاسترجاع أنفاسهم و استئناف الجهاد من جديد، حيث أسسوا بها العديد من الزّوايا لاتخاذها منطلقاً لشن الهجمات ضد الفرنسيين، كما شاركهم التّونسيون في كلّ مراحل المقاومة و أصبح الشّرق الجزائري و المنطقة الغربية من تونس امتداداً لبعضهما و أصبح المجاهدون يقومون بعملياتهم الحربية ضد مواقع العدو في كلا الواجهتين.

نظراً لكثافة نشاط وتحركات المقاومين الجزائريين على منطقة الحدود مابين سنتي 1830-1881م عملت فرنسا على وضع مشروع رسم الحدود وتقييد حركة الـــــتّواصل بين

المنطقتين ومنع وصول المساعدات، وكانت تلاحق وتتبع تحركات المقاومين في تونس، ونصّبت العديد من الأبراج والثكنات العسكرية للقيام بعملية التّفتيش و المراقبة.

وازداد تلاحم الشّعبين رسوخاً إثر الغزو الفرنسي الذي تعرضت له تونس سنة 1881م، حيث هبّ الشّعب الجزائري بتقديم المساعدات لحركة المقاومة في تونس وكانت مقاومة الشّيخ بوعمامة أولى ردود الفعل الجزائري تجاه الاحتلال الفرنسي لتونس، كما شارك المهاجرون الجزائريون إخوانهم في تونس في كل المحن التي عاشتها البلاد.

شهدت الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830م العديد من المقاومات الشّعبية التي عمت مختلف أرجاء البلاد، وفي الوقت الذي احتلّت فيه الجزائر كانت تونس تحت حكم الحسينيين كإيالة عثمانية ومثّلت الصّدارة في استقطاب الفارّين الجزائريين من الضّغوطات و الممارسات القهرية التي انتهجها الاحتلال الفرنسي، خاصة ضد قادة وداعمي المقاومات الشّعبية الجزائرية، حيث اندمجوا في المجتمع التّونسي بطريقة تلقائية، وخاصة أنّه يجمع بينهم وحدة الدين واللغة والمصير المشترك الذي أضاف شريحة جديدة في النّسيج الاجتماعي التّونسي، وشكّلوا كتلة واحدة أمام القمع و الاضطهاد المسّلط عليهم، وأصبح الدّفاع عن الأرض والعرض هو القاسم المشترك.

كان توزيعهم الجغرافي و استقرارهم منتشرًا في مختلف المناطق بالبلاد التّونسية وخاصة على المناطق الحدودية.

بعد هذه الدّراسة يمكننا أن نسجل عدداً من الملاحظات والنّتائج التي نتوج بها هذا البحث ونوجزها في:

تمكّن العديد من قيادي المقاومات الشّعبية الجزائرية بإلحاق الكثير من الأضرار بقوات الاحتلال الفرنسي رغم بساطة الوسائل و الأساليب التي اعتمدوها مقارنة مع فرنسا التي كانت تمتلك أحدث الوسائل القمعية.

لقد برهن الشّعب الجزائري على وحدته وتماسكه رغم سياسة فرنسا التي تسعى للتفريق بينهم لكسر المقاومات بأقل خسائر وضرب الجزائريين بعضهم ببعض إلاّ أنّها فشلت في سياستها من خلال تكاثف وتعاون القيادات مع بعضهم في المواجهة ولو لفترة وجيزة محدودة أمثال الشّريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة والشّريف بوشوشة حيث وحدوا الجهود وكذلك الشّريف بوبغلة ولالة فاطمة نسومر وغيرهم.

مثلت تونس الملجأ الآمن للمقاومين الفارين لاسترجاع أنفاسهم، مما دفع بفرنسا استخدام قوتها للضّغط على الحكومة التّونسية للتّضييق على نشاط المقاومين والقبض عليهم وتســليمهم

لفرنسا، إلا أن الشّعب التّونسي وقف بجانب أشقائه الجزائريين ولم يهتم لتهديدات السّلطات الفرنسية وقدّم كل ما يملك من مساعدات للمقاومين بالرغم من الحالة المزرية والبائسة التي كانت تعيشها تونس في مختلف المجالات، حيث تعرّض العديد من التّونسيين للملاحقة من طرف الحكومة بسبب المساعدات التي يقدمها للمقاومين وحمايتهم و إيوائهم.

قد طبقت فرنسا العديد من السياسات لقمع وشل حركة التّواصل بين الجزائر وتونس لخنق روح المقاومة الجزائرية ومنع دخول الإمدادات والتّضييق على نشاط المقاومين كاعتمادها لسياسة ترسيم الحدود و تقييد الحركة التجّارية وإنشاء العديد من الثّكنات العسكرية وملاحقة المقاومين الفارين إلى تونس، لأنّهم اتخذوها كقاعدة خلفية للمقاومة، إلاّ أنها لم تتمكن من إحداث القطيعة بين الشّعبين وتواصلت المساعدات حتى بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس.

ساهمت كل من الطّريقة الرّحمانية و القادرية في مقاومة الاحتلال الفرنسي داخل الجزائر وخارجها، خاصة عندما فروا إلى تونس حيث أحدثوا بها زوايا تابعة لهم كما كونوا أتباعاً وحثوا التّونسيين لمساعدة إخوانهم الجزائريين و الوقوف بجانبهم، وشكلت مركزاً ومعقلاً لتجمع الثّوار والمقاومين لإحداث التنسيق فيما بينهم وجمع السّلاح واسترجاع الأنفاس، كما شكلت تونس قاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية وخاصة منطقة الجريد التّونسي للتحضير و الإعداد لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي.

أحدثت المقاومات الشّعبية الجزائرية الزّيادة في التّواصل بين الجزائريين والتّونسيين خلال القرن التّاسع عشر ميلادي الذي ظهر بأشكال مختلفة نتيجة لتمايز السّلطات المتحكمة في كل قطر، كما استفادت تونس بعد المساعدات التي قدمت للاّجئين الجزائريين من الخبرات الجهادية للمجندين القدامى وقامت بتجنيدهم في الجيش التّونسي.

عملت الحكومة التّونسية على ملاحقة المقاومين الجزائريين بتونس لعرقلة نشاطهم و إلقاء القبض عليهم وتسليمهم للسّلطات الفرنسية وطرد العديد منهم، وكل هذا كان تحت ضغط الحكومة الفرنسية عليها والتهديدات التي إستخدمتها ضدها، كما ضايقت الحكومة التّونسية على

كل تونسي مساهم في تقديم يد العون والمساندة للمقاومين الجزائريين الفارين من تسلّط الاحتلال الفرنسي.

اتخذت فرنسا العديد من الذّرائع لاحتلال تونس حتى تتمكن من ربطها بالجزائر التي اعتبرتها مقاطعة فرنسية، وعمدت إلى فرض الحماية على تونس في سنة 1881م وهذا دليل واضح على أنّ فرنسا حاولت عدم تكرار تجربتها في الاحتلال المباشر التي طبّقتها في الجزائر لما لحقها من خسائر نتيجة ذلك الأسلوب فلجأت لإتّباع سياسة جديدة وهي الحماية رغبة في تجنب الخسائر المادية والبشرية.

رغم الحالة البائسة التي كان يعيشها الشّعب الجزائري بسبب السّياسة الوحشية الفرنسية المطبّقة عليهم، إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من تقديم يد العون و المساندة لإخوانهم التّونسيين في مواجهة الحماية الفرنسية، حيث قاموا بتوحيد الجهود فيما بينهم وكذا قيام العديد من الشّيوخ بالدعوات للتّعاون بين الشّعبين، كما تم تكثيف العمل الثّوري في الجزائر وتونس للضّغط على فرنسا ومن بين النماذج على ذلك اندلاع مقاومة بوعمامة سنة 1881م في الجزائر وغيرها من المحاولات التي كانت تهدف للتّنسيق بين المقاومات الشعبية.

الملحق رقم(01): خارطة توضح واحات الصّحراء الشّرقية التي كانت مسرحاً لمطاردة المقرانيين إلى داخل الحدود التّونسية أوائل 1872م.

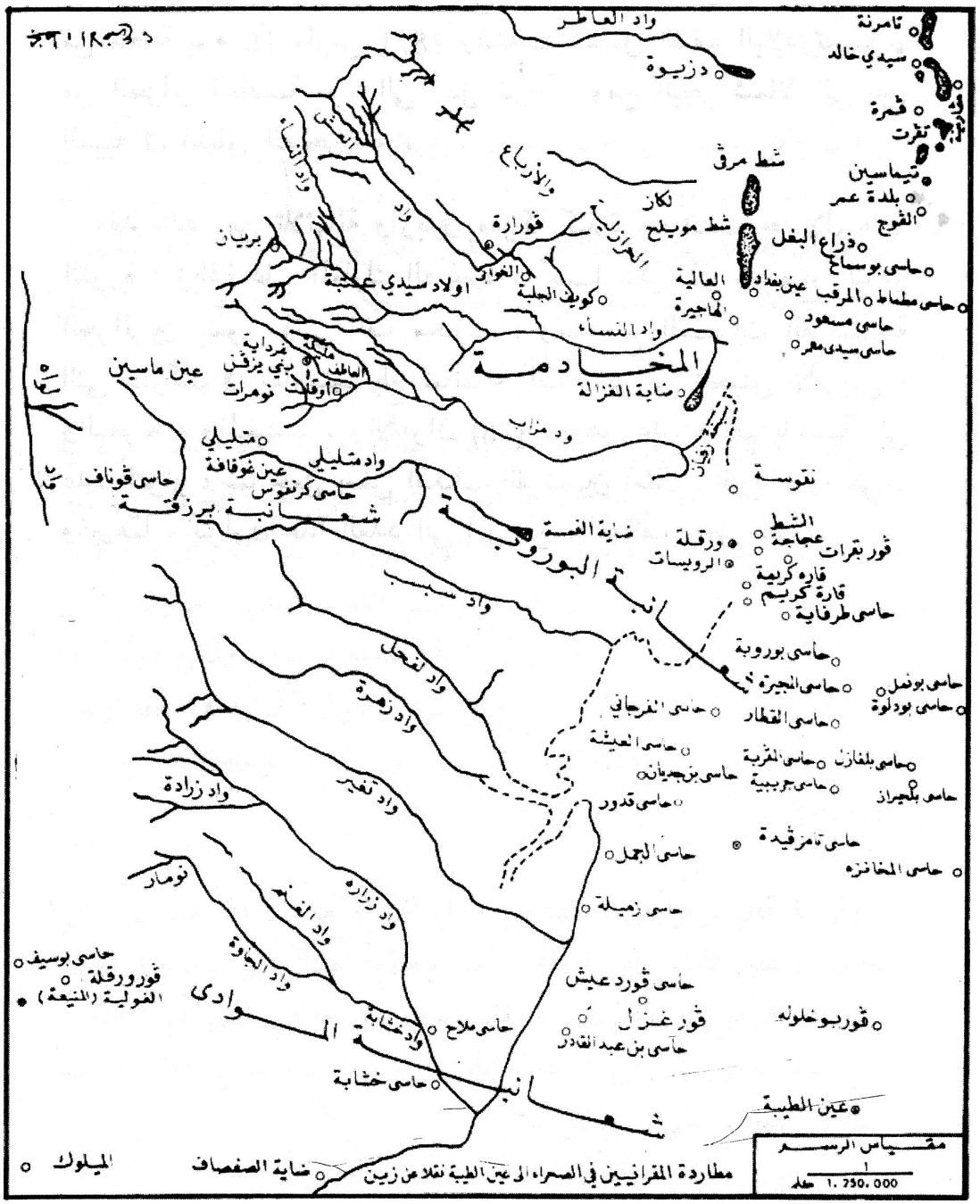

[1]- يحي بوعزيز: **ثورة الباشاغا محمّد المقراني و الشّيخ الحداد عام 1871م و يليه، مواقف العائلات الأروستقراطية من الباشاغا محمّد المقراني و ثورته عام 1871م**، د. ط، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 310.

الملحق رقم (02): خارطة توضح الأماكن التي مات بها اللّحالحة أثناء مسيرتهم إلى تونس.

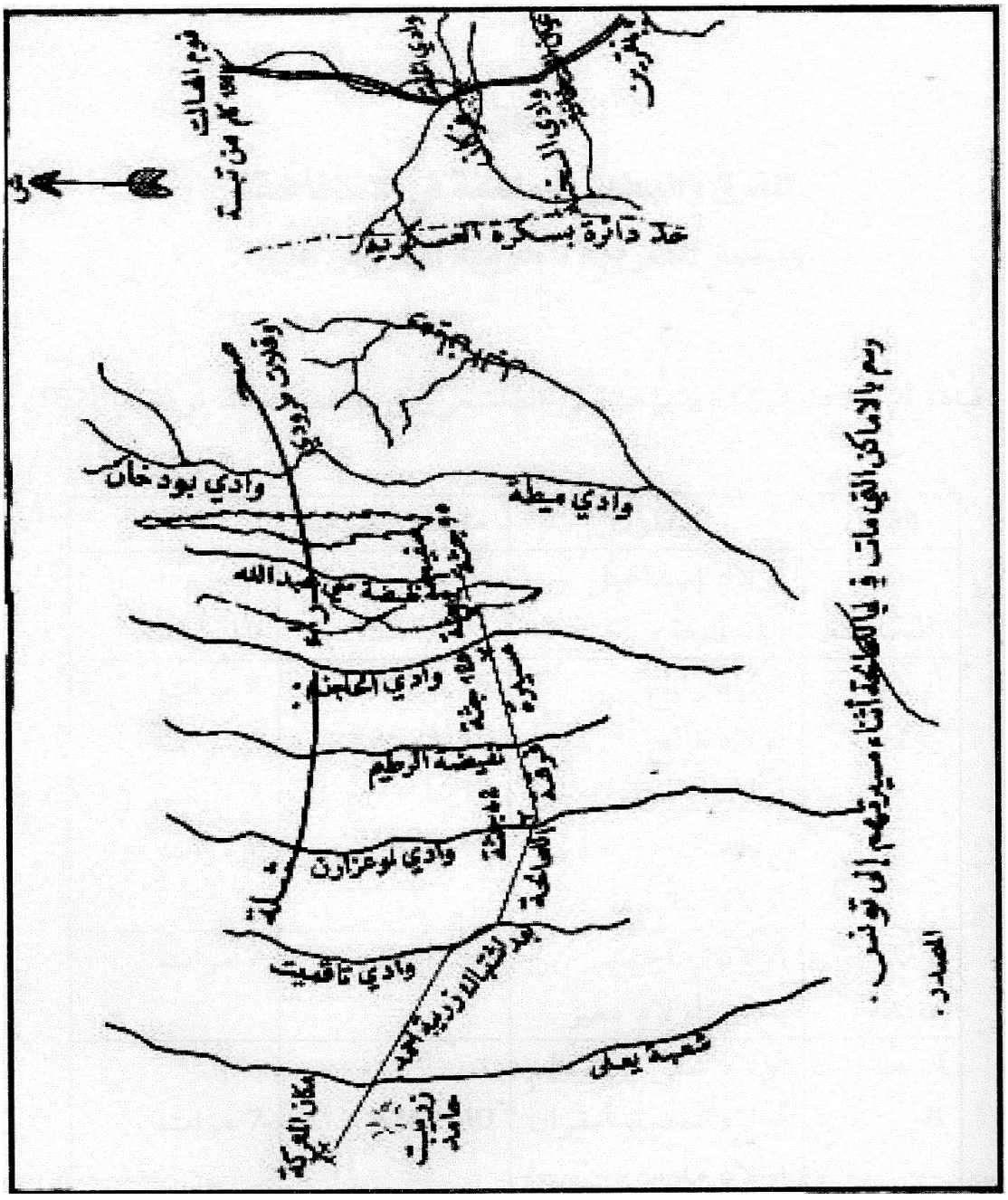

[1]

[1]- عبد الحميد زوزو: **مجموع مشتمل على: ثورة الأوراس سنة 1879م، ثورة الشّيخ بوعمامة 1881 – 1908م، تاريخ الإستعمار و التحرّر في إفريقيا و آسيا**، ط. خ، عالم المعرفة للنّشر و التّوزيع، الجزائر، 2013م، ص 63.

الملحق رقم (03): بيان أسماء جهات الحدادة التي بين تونس و تبسة.

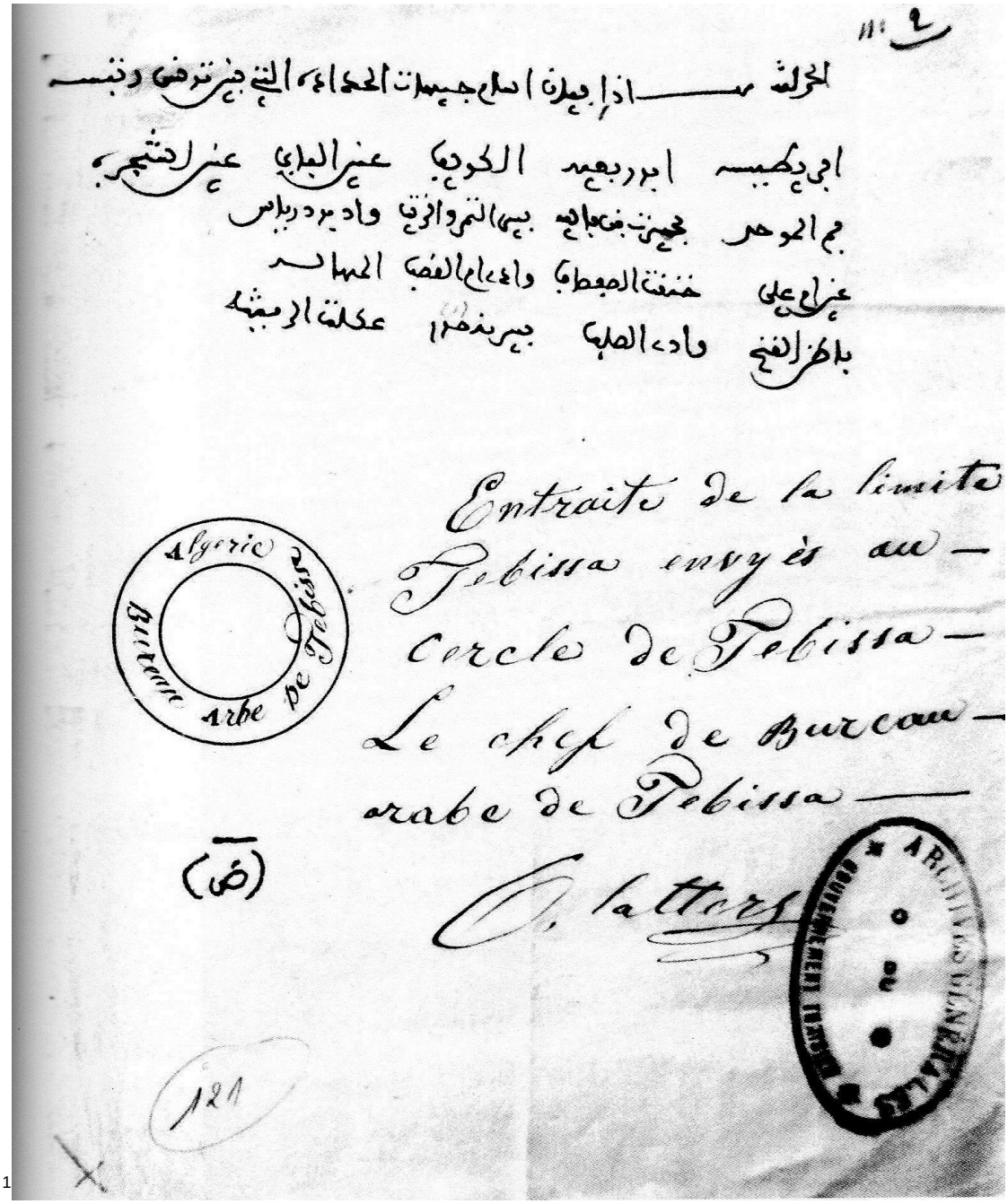

Extrait de la limite
Tebessa envoyés au —
Cercle de Tebessa —
Le chef de Bureau —
arabe de Tebessa ——

(ص)

121

[1]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 228.

الملحق رقم (04): إقامة الحد الفاصل بين الفراشيش من عمالة تونس وبين فرق أولاد يحي بن طالب.

[1]

[1]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص229.

الملحق رقم (05): تنبيه على الفراشيش من السّلطات التّونسية بأن يلزموا أماكنهم.

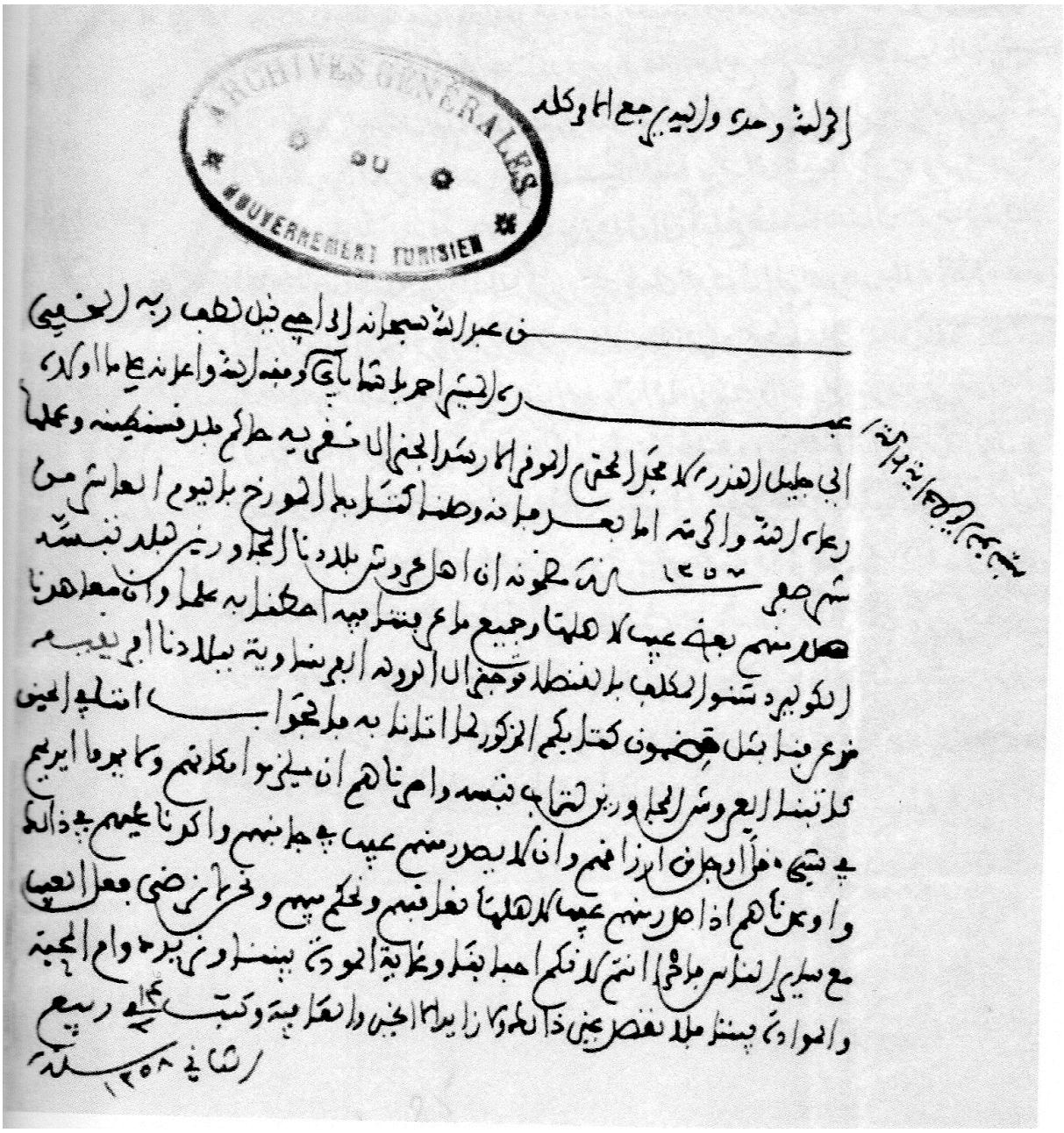

[1]

[1]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 230.

الملحق رقم (06): تنبيه القبائل الحدودية التّونسية بعدم إيواء القبائل الجزائرية.

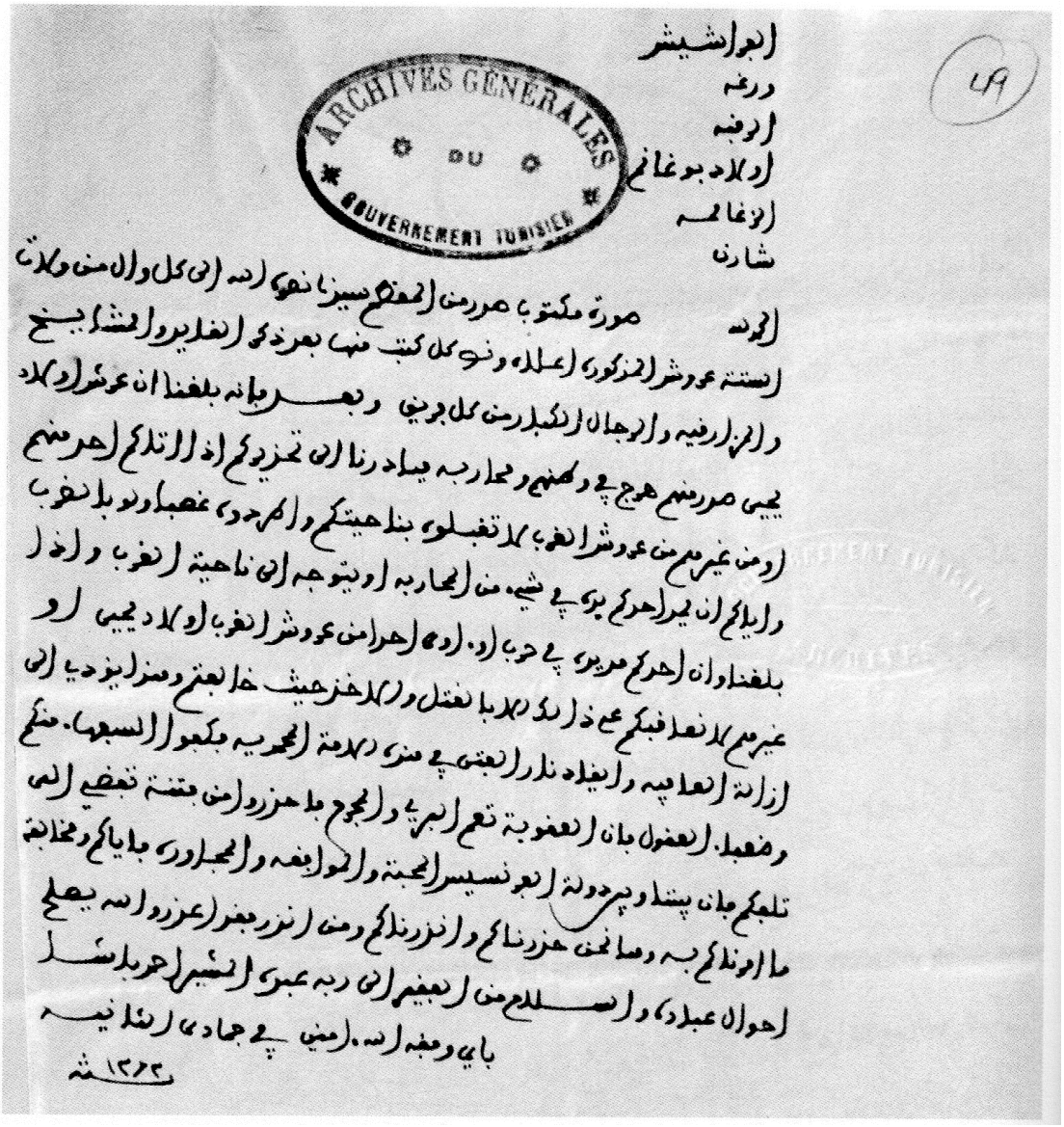

[1]

[1]- إدريس رائسي: المرجع السّابق، ص 231.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أولاً: الوثائق الأرشيفية.

الأرشيف الوطني التّونسي:

A. N. T: C. A, B.279, F.17, D.03.

A.N.T: C. A, B. 278, F. 16, D.41.

A.N.T: C. A, B.275, F. 10, D. 204.

A.N.T: C. A, B. 278, F.7, D. 12.

A.N.T: C. A, B. 279, F. 17, D. 01.

A.N.T: C. A, B. 279, F. 10, D. 204.

ثانيًا: الكتب.

أ/ باللغة العربية:

1- اتين برونو: **عبد القادر الجزائري**، تر: ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، لبنان، 1997م.

2- اجرون شارل روبير: **الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871 – 1919**، د. ط، دار الرّائد للكتاب، الجزائر، ج1، د. س.

3- احميدة عميراوي: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط2، شركة الهدى للطّباعة و النّشر و التّوزيع، الجزائر، 2004م.

4- بارت هاينريش: **سبع رسائل مخطوطة لهاينريش بارت عن رحلته إلى تونس 1845- 1846**، تح و تع: منير الفندري، المؤسسة الوطنية للتّرجمة و التّحقيق و الدراسات، بيت الحكمة، 1987م.

5- باي أحمد: **مذكرات أحمد باي**، تر: محمد العربي الزّبيري، الجزائر، د. ط، ش. و. ن. ت، تونس، 1973م.

6- بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989**، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2006م.

7- بن أبي الضّياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، د. ط، الدّار العربية للكتاب، الباب الأول، مج2، ج3، ج4، تونس، 1999م.

8- — ، —: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، ط 2، الدّار التونسية، مج1، ج2، تونس، 1977م.

9- بنبلغيث الشّيباني: **الجيش التّونسي في عهد الصّادق باي 1859 – 1882**، تق: عبد الجليل التميمي، د. ط، م. ت. ب. ع. م، صفاقس، 1995م.

10- بن خليف عبد الوهاب: **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، ط1، دار طلبة، د. ب، 2009م.

11- بن عبد القادر محمد: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر (سيرته السيفية)**، د. ط، المطبعة التّجارية عزوزي و جاويش، الاسكندرية، ج1، 1903م.

12- بوضرساية بوعزّة: **الجرائم الفرنسية و الإبادة الجامعية في الجزائر خلال القرن 19م**، ط.خ، م. م. و. د. ب. ح. و. ث. ن، الجزائر، 2007م.

13- بوعزيز يحي: **ثورات الجزائر في القرنين التّاسع عشر والعشرين، (ثورات القرن التّاسع عشر)**، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د. ب، ج1، د. س.

14- — ، —: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20، (ثورات القرن التّاسع عشر)**، ط خ، الجزائر، دار المعارف للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2009م.

15- — ، —: **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، د. ط، دار البصائر للنشر و التّوزيع، الجزائر، 2009م.

16- — ، —: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدّولية**، د. ط، دار البصائر للنشر و التّوزيع، الجزائر، 2009م.

17- تشرشل هنري: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: د. أبو القاسم سعد الله، د. ط، د. ت. ن. و. ت، تونس، 1974.

18- ثامر الحبيب: **هذه تونس**، د. ط، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.

19- جوليان شارل أندري: **تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871م**، تر: المعهد العربي العالي للترجمة، د ط، شركة دار الأمّة، الجزائر، مج1، 2013م.

20- أبو حمدان سمير: **خير الدّين التّونسي**، موسوعة عصر النهضة، الشّركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1993م.

21- رائسي ادريس: **القبائل الحدودية التّونسية – الجزائرية بين الإجارة و الإغارة 1830 – 1881**، ط1، الدّار المتوسطية للنشر، تونس، 2016م.

22- الزّبيري محمد العربي: **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015م.

23- زوز عبد الحميد: **ثورة الأوراس سنة 1879**، د. ط، م. و. ك، الجزائر، 1986م.

24- — ، —: مجموع مشتمل على ثورة الأوراس سنة 1879م، ثورة الشّيخ بوعمامة 1881 – 1908، تاريخ الإستعمار و التحرر في إفريقيا و آسيا، ط. خ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013م.

25- السّرجاني راغب: **قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011**، ط1، دار الأقلام للنشر و التّوزيع و التّرجمة، القاهرة، 2011م.

26- سعد الله أبو القاسم: **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5،2005م.

27- — ، —: **الحركة الوطنية 1830 - 1900**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992م.

28- — ، —: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982م.

29- سعيدوني ناصر: **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، د. ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.

30- سكّال محمد: **باسم الحضارة- جرائم حرب ضد الإنسانية ارتكبت في الجزائر من 1830 – 1962**، تر: بشير بو لفراق، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2015م.

31- شترة خير الدّين: **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التّونسية**، د. ط، دار كردادة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2013م.

32- الشّريف محمّد الهادي: **تاريخ تونس**، تر: محمد الشاوش و محمد عجينة، د. ط، سراس للنشر و التّوزيع، تونس، 2001م.

33- الصلابي علي محمد: **كفاح الشّعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى**، د. ط، دار المعرفة، لبنان، د. س.

34- طرشون نادية: **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، م. م. و. د. ب. ح. و. ف. ن، ط. خ، دار هومة، الجزائر، 2007م.

35- عبد الله الطّاهر: **الحركة الوطنية التّونسية – رؤية شعبية قومية جديدة – 1830-1956م**، ط2، دار المعارف للطّباعة و النّشر، تونس، 1990م.

36- عبد الوهاب حسن حسيني: **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتاب العربية الشّرقية، تونس، د. س.

37- العجيلي التليلي: **الطّرق الصّوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التّونسية 1881-1939م**، منشورات كلية الآداب، منوبة، مج2، 1992م.

38- العسلي بسام: **الأمير عبد القادر الجزائري**، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م.

39- عطا الله الجمل شوقي: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، المغرب)**، ط1، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

40- عمورة عمار: **موجز تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة للنشر و التّوزيع، الجزائر، 2002م.

41- — ، —: **الجزائر بوابة التاريخ، ماقبل التاريخ إلى 1962م، الجزائر عامة**، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، ج1، 2009م.

42- العلوي الطيب: **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954م**، منشورات وزارة المجاهدين، طبع المؤسسة الوطنية للاتّصال، النشر و الاشهار وحدة الطباعة ، الجزائر، د. س.

43- عوض صالح: **معركة الإسلام و الصلبية في الجزائر من سنة 1830- 1962- دراسة تحليلية**، ط1، مطبعة دحلب، الجزائر، ج1، 1989م.

44- عيساوي محمد و شريخي نبيل: **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830- 1871م**، د. ط، مؤسسة شطيبي للنشر و التّوزيع، الجزائر، د. س.

45- غانياج جان: **ثورة علي بن غذاهم 1864م**، تر: لجنة من كتابة الدّولة للشؤون الثّقافية، المكتبة التّاريخية، د. ط، د. ت. ن. و. ت، تونس، 1965م.

46- غنابزية علي: **أدوار الكفاح المسّلح في وادي سوف و الجنوب الشّرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي 1854- 1962م**، ط1، مطبعة الوادي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2016م.

47- الفرجي بشير كاش: **مختصر وقائع وأحداث ليل الإحتلال الفرنسي للجزائر(1830- 1962م)**، ط. خ، وزارة المجاهدين، د. ب، 2007م.

48- فرديناند إيفالد كريسيتيان: **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس 1835م**، تر و تح: منير الفندري، د. ط، بيت الحكمة، تونس، 1991م.

49- بن قفصية عمر: **أضواء على تاريخ الصّحافة التّونسية 1860 – 1970م**، د. ط، دار بوسلامة للطباعة و النشر، تونس، د. س.

50- قايد مولود: **المقراني**، تر: سهيلة بربارة، ط1، منشورات ميموني، د. ب، 2013م.

51- قداش محفوظ: **جزائر الجزائريين- تاريخ الجزائر 1830- 1954م**، تر: محمد المعراجي، د. ط، مطبعة خاصة وزارة المجاهدين، د. ب، 2008م.

52- القصاب أحمد: **تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956م**، تع: حمادي السّاحلي، ط1، ش. ت. ن. و. ت، تونس، 1986م.

53- الماجري عبد الكريم: **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس (1830-1937م)**، ط1، ش. ت. ن. و. ت، تونس، 2010م.

54- المحجوبي علي: **انتصاب الحماية الفرنسبة على تونس**، تع: عمر بن ضو و آخرون، د. ط، سراس للنشر، تونس، 1986م.

55- المرزوقي محمّد: **معارك و أبطال- صراع مع الحماية**، د. ط، دار الكتب الشّرقية، تونس، ج2، 1973م.

56- مقلاتي عبد الله: **المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية (1830-1962م)**، د. ط، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013م.

ب/ باللغة الأجنبية:

1- Bessayh Boualem: L' algérie belle et rebelle de jugurtha à novembre, impression A N E, prèmes,rouiba, 2004.

2- L'amicale des Algériens en Europe et Afrique Biblio club, présentent, Je connais Algérie, AAe/ABC, paris 1977.

3-Teguia Mohamed : L'algerie en guerre,(o.p.u), Alger,2007.

ثالثاً: المقالات.

أ/ باللغة الأجنبية:

1Marty Germain:Les algeriens à tunis", I B L A, tome1, tunis, 1948.

ب/ باللغة العربية:

1- برابح محمّد الشّيخ: " التّطور التّاريخي للحدود الجزائرية، المغرب الأقصى و تونس نموذجاً "، **مجلة دراسات و أبحاث- المجلة العربية في العلوم الانسانية و الاجتماعية**، جامعة زيان عاشور- الجلفة، العدد: 27، جوان 2007م.

2- بوعزيز يحي: " دور تونس في دعم حركات التّحرير الجزائرية و موقف الجزائريين من احتلالها عام 1881م"، **مجلة الثّقافة**، العدد: 70، جويلية- أوت 1982م.

3- ـــ ، ـــ: " موقف بايات تونس من الأمير عبد القادر و ثورته "، **مجلة الأصالة**، العدد: 23، جانفي- فيفري 1975م.

4- ـــ ، ـــ: " موقف الرّسميين التّونسيين من ثورة الصّبايحية و الكبلوتي في منطقة الحدود الشّرقية عام 1871م "، **مجلة لأصالة**، العدد: 61/60، أوت- سبتمبر 1978م.

5- ـــ ، ـــ: " وثيقتان جديدتان من كفاح الشّريف محمّد بن عبد الله "، **مجلة الثّقافة**، العدد: 33، جوان- جويلية 1976م.

6- بيرم كمال: " توسع الاحتلال و المقاومة الشّعبية بالصّحراء الشّرقية من خلال مصادر الأرشيف العسكرية الفرنسية " **مجلة البحوث التاريخية**،ع 1، جامعة محمد بوضياف- مسيلة، مارس 2017م.

7- تواتي حسين: " بن ناصر بن شهرة و الشّريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية و الروح الوطنية "، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية**، العدد: 4، المركز الجامعي بالوادي، ديسمبر 2014م.

8- دحدى سعود: " ثورة الشّريف محمّد بن عبد الله في الصّحراء الجزائرية و مواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي 1842- 1895م "، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، العدد: 1، المركز الجامعي بالوادي، جويلية 2010م.

9- رضوان شافو: " انعكاسات السّياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس 1830- 1904م "، **مجلة كان التاريخية**، العدد: 34، ديسمبر 2016م.

10- ـــ ، ـــ: " الحملة العسكرية الفرنسية على منطقة وادي ريغ و ردود الفعل الشّعبية 1854- 1875م، **مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية**، جامعة ورقلة، العدد: 14، مارس 2014م.

رابعاً: الملتقيات.

1- بن حيدة يوسف: " **التّواصل الطّرقي بين الجنوب الشّرقي و منطقة الجريد خلال القرن 19م** "، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

2- بن زروال جمعة: " **هجرة زعماء الطّرق الصّوفية التّونسية نحو الجزائر و نشاطهم السّياسي و الدّيني- الشّيخ سيدي علي النفطي و الحاج محمد لخضر السّهيلي أنموذجًا**"، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

3- بوطبّي محمّد: " **الهجرة الجزائرية نحو البلاد التّونسية بين القرنيين التّاسع عشر و العشرين 1830- 1930م الجنوب الشّرقي الجزائري نموذجًا** "، الملتقى الدّولي حول

التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

4- صحراوي نور الدّين: " **المراقبة الفرنسية للحدود الشّرقية و تأثيرها على التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس 1881- 1954م من خلال الوثائق الأرشيفية** "، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

5- غنابزية علي: " **المقاومة الشّعبية بوادي سوف و أثرها على العلاقات مع الجنوب التّونسي 1854- 1882م** "، الملتقى الوطني الأوّل حول المقاومة الشّعبية في الصّحراء الشّرقية للجزائر 1850- 1875م، جامعة الأغواط 29- 30 أفريل 2015م.

6- كحول عباس: " **الجريد التّونسي القاعدة الخلفية للزّاوية العزوزية و المقاومة الوطنية في الجنوب الشّرقي الجزائري**"، الملتقى الدّولي حول التّواصل بين الجنوب الشّرقي الجزائري و تونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

خامساً: الرّسائل الجامعية.

1- بقبق الزّهرة: **الأمير عبد القادر في الأسر (1849- 1852)**، (رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر)، جامعة وهران2، السنة الجامعية 2010/2009م.

2- بن جابو أحمد: **المهاجرون الجزائريون و نشاطهم في تونس (1830- 1954)**، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة تلمسان، السّنة الجامعية 2011/2010م.

3- بوضرساية بوعزّة: **الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاومة (1826- 1848)**، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1991/1990.

4- سيساوي أحمد: **البعد البايلكي في المشاريع السّياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث(1838- 1871)**، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة قسنطينة2، السنة الجامعية 2014/2013م.

5- شافو رضوان: **الجنوب الشّرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجًا**(1844- 1962)، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2012/2011م.

6- ـــ ، ـــ: مقاومة **منطقة تقرت و ما جاورها للاستعمار الفرنسي** (1844- 1875)، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر، 2007م.

7- العيد فارس: **علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى و تونس** (1848- 1930)، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة وهران1، السنة الجامعية 2017/2016م.

8- غنابزية علي: **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن(الثّالث عشر هجري - التّاسع عشر ميلادي)**، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2001/2000م.

9- كحول عباس: **دور الزّاوية الرّحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشّرقي**(1849- 1859)، (رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة الوطنية و الثّورة التحريرية)، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2011/2010م.

10- مدني بشير: **مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية و السّياسية و الاقتصادية** (1830- 1962)، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2015/2014.

11- نواصر نصيرة: **مواقف تونس و المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر** (1830- 1845)، (رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2011/2010م.

12- اليمان صالح و العايبي محمد: **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في تونس خلال القرن التّاسع عشر ميلادي و ردود الفعل الشّعبية**، (رسالة ماجستير في تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر)، جامعة الوادي، السنة الجامعية 2017/2016م.

سادساً: المجلات الإلكترونية.

1- " الجيش التّونسي و الصّناعة الحربية في عهد أحمد باي "، **مجلة الأمّة التّونسية،** بتاريخ 30أكتوبر 2017م، على السّاعة: 07:02 مساءاً، www.alomma.tn. الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 17:54.

2- " الإدراك السّياسي التّونسي لمسألة الحوز و الحدود "، **مجلة الأمّة التّونسية،** بتاريخ 30 أكتوبر 2017م، على السّاعة:06:59 مساءاً،www.alomma.tn.الزّيارة بتاريخ: 2018/02/12م، على السّاعة: 18:59.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

شكر و عرفان.....01

قائمة المختصرات.....02

مقدمة.....05

الفصل الأول: أبرز المقاومات الشّعبية الجزائرية 1830 – 1881م

أولاً: أبرز مقاومات الشّرق الجزائري.....11

1- مقاومة أحمد باي1830 – 1848م.....11

2- مقاومة سكان الزّواغة و الفرجيوة بالبابور 1849 - 1865م.....16

3- مقاومة الصّبايحية و الكبلوتي 1871م.....19

ثانياً: أبرز مقاومات الغرب الجزائري.....21

1- مقاومة الأمير عبد القادر 1832 - 1847م.....21

ثالثاً: أبرز مقاومات الوسط الجزائري.....26

1- مقاومة المقراني والحداد 1871 – 1872م.....26

رابعاً: أبرز مقاومات الجنوب الجزائري.....29

1- مقاومة الزّعاطشة 1849 – 1850م.....29

2- مقاومة الشّريف محمّد بن عبد الله 1851 – 1895م.....32

3- مقاومة أولاد سيدي الشّيخ 1864 – 1881م.....35

4- مقاومة محمّد بن التّومي بوشوشة 1869 – 1875م.....38

5 - مقاومة الأوراس 1879م.....41

خلاصة الفصل.....44

الفصل الثاني: أوضاع تونس و صدى المقاومات الشّعبية الجزائرية فيها مابين 1830 – 1881م

أولاً: أوضاع تونس خلال القرن 19م.....48

1- سياسياً.....48

2- عسكرياً.....51

3- اقتصادياً.....54

4- اجتماعياً.....57

5- ثقافياً ودنياً.....59

ثانياً: الموقف التّونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....61

1- الموقف الرّسمي.....61

2- الموقف الشّعبي.....64

ثالثاً: لجوء المقاومين الجزائريين إلى تونس و نشاطهم فيها.....66

1- ظروف الالتحاق بتونس.....66

2- دور تونس كقاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية.....71

رابعاً: السّياسة الفرنسية لقمع حركة الثّوار (بين الجزائر و تونس).....77

1- ترسيم الحدود و تقييد حركة التّواصل.....77

2 - تقنين الحركة التّجارية.....79

3- ملاحقة المقاومين الجزائريين على الأراضي التّونسية.....80

4- إنشاء الأبراج و الثّكنات العسكرية للتفتيش و المراقبة.....85

5- الضّغط على الحكومة التّونسية للتّضييق على التّونسيين المساندين.....87

خامساً: موقف الجزائريين من احتلال فرنسا لتونس عام 1881م.....89

خلاصة الفصل.....95

الخاتمة.....97

الملاحق.....101

قائمة المصادر و المراجع.....108

فهرس المحتويات.....119

تم بحمد الله